السيد محمد حسن آل الطالقاني

الشيخية

نشأتها وتطورها ومصادر دراستها

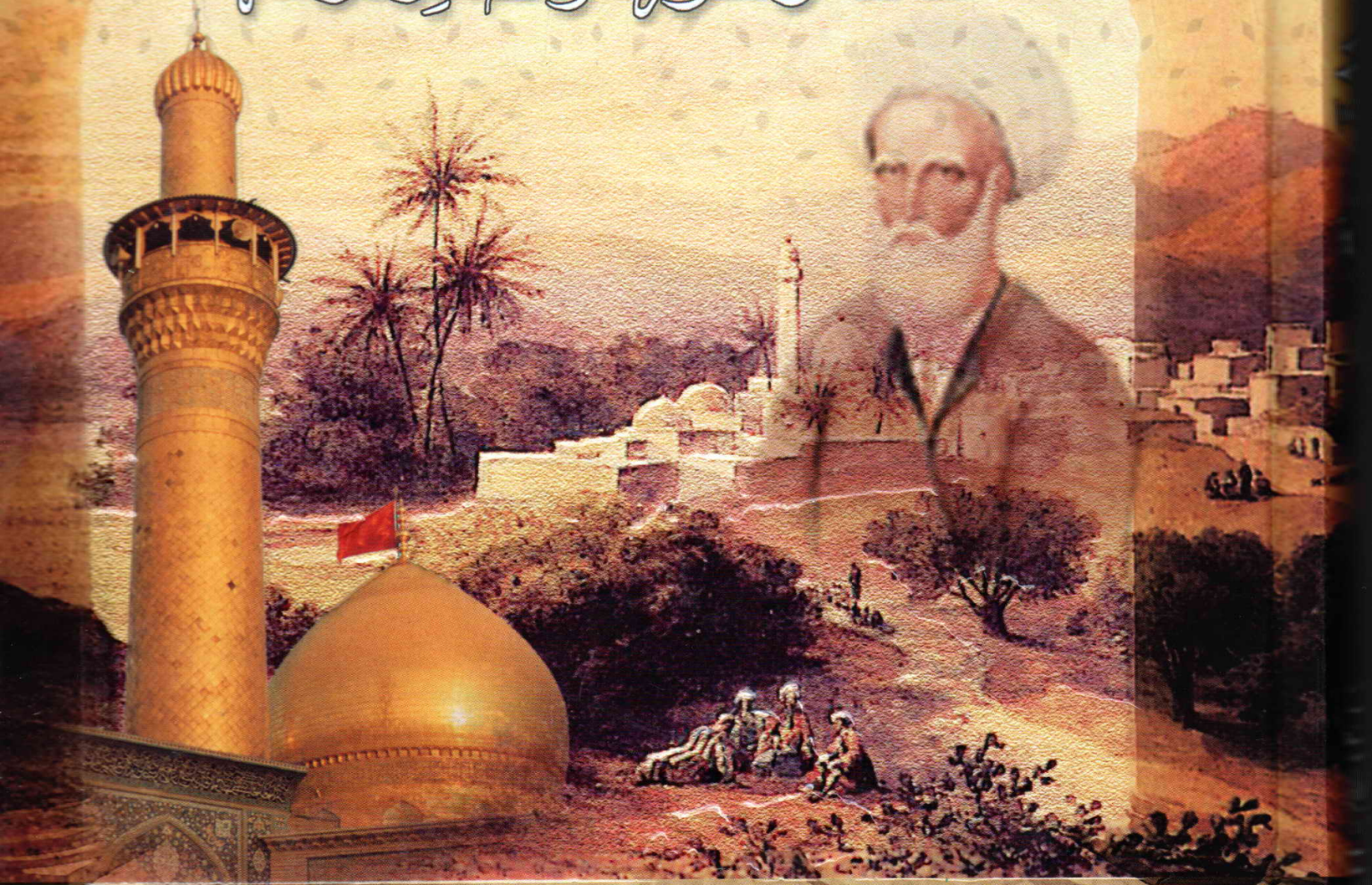

مكتبة المعارف
لصاحبها محمد حسين آل طالقاني - النجف الأشرف

دار الكتاب العربي
بغداد - شارع المتنبي - تلفون: ٤١٥٤٥٦١ - ٧٩٠١٤١٩٣٧٥

الشَّيْخِيَّة

نشأتها وتطورها ومصادر دراستها

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

خليوي: ٠٣/٩٤٦١٦١ - ٠٣/١١٥٤٢٥ - تلفاكس: ٠١/٢٧٦٤٠٨
http://www.Dar-ALamira.com
email:info@dar-alamira.com

الشيخية

نشأتها وتطورها ومصادر دراستها

الشيخ محمد حسن آل الطالقاني

مكتبة المعارف

لصاحبها محمد حسين آل طالقاني

النجف الأشرف

دار الكتاب العربي

بغداد - شارع المتنبي - تلفون: ٤١٥٤٥٦١ - ٧٩٠١٤١٩٣٧٥

الباب الثاني

الشيخ أحمد الأحسائي

الفصل الأول: سيرته

١ ـ نسبه وأسرته

هو الشيخ أحمد بن الشيخ[١] زين الدين[٢] بن إبراهيم بن صقر[٣] بن إبراهيم[٤] بن داغر[٥] بن رمضان[٦] بن راشد[٧] بن دهيم[٨] بن شمروخ بن صولة

---

(١) لم يصف الأحسائي أباه بـ «الشيخ» في ما رأيناه من كتاباته ومؤلّفاته، وإنّما وصفه بذلك ولده الشيخ عبدالله (ترجمة ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٥) وتلميذه السيّد كاظم الرشتي (دليل المتحيِّرين، ص ١٢) والشيخ آغا بزرك الطهراني (طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ٨٨) نقلاً عن رسالة ولده المذكور. ونقل ذلك عنه السيّد محسن الأمين (أعيان الشيعة: ٨/ ٣٩٠)، والشيخ محمّد علي المدرّس (ريحانة الأدب: ١/ ٣٩)، ووصفه كذلك بعض مشايخ الأحسائي في إجازاتهم له (ترجمة ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٨٢، ٨٦، ٨٩، ٩٤).

(٢) سمّاه المستشرق نقولاس «زين العابدين» (مقالة عن الشيخية: ١/ ١) وهو تصحيف. وقد صحف اسم جدّه داغر بـ «ظاهر».

(٣) سمّاه الشيخ حبيب الله الكاشاني «صغر» بالغين (لباب الألقاب في ألقاب الأطياب، ص ٥٢). وسمّاه علي أكبر دهخدا «صفر» بالفاء (لغت نامهٔ، حرف الألف، ١٣٩٦) وكذا في (ترجمة ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٤)، والأخير من أخطاء المطبعة حيث أشير إليه في جدول الخطأ والصواب، ٩٧.

(٤) سقط اسم «إبراهيم الثاني» بين صقر وداغر في كلٍّ من (رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٨٣) و (لباب الألقاب، ص ٥٢ و٥٣).

(٥) سمّاه الكاشاني في (لباب الألقاب، ص ٥٣): «واغر» بالواو.

(٦) لم يذكر اسم «رمضان» في آبائه أحد من المترجمين له!! وقد ذكره هو بنفسه (سيرة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٩)، وذكره أيضاً ولده الشيخ عبدالله (ترجمة ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٤)، وهو أصحّ قطعاً؛ إذ هما أعرف بآبائهما من الغير.

(٧) سمّاه الشيخ ميرزا علي الحائري «صولة» بدلاً من «راشد» (رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٨٣) وهو وهم حتماً.

(٨) في (دليل المتحيِّرين، ص ١٢) و (طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ٨٨): «وهيم» بالواو! وهو من خطأ المطابع.

آل صقر المهاشر[1] المطيرفي[2] الأحسائي[3] من رهط بني خالد الذين ينتهي نسبهم إلى قريش، وقد لقّبوا بـ «المهاشر» نسبة إلى جبل في تهامة اسمه: «مهشور» كانوا يسكنونه.

وقد وقع بين بني خالد والشريف غالب[4] نزاع أدّى إلى هجرتهم إلى الإحساء[5] بزعامة رئيسهم يومذاك عبد العزيز الخالدي، وقد تمكّنوا من الاستيلاء على الحكم وطرد[6] الحاكم السابق حسين باشا آل سياب[7]، ورأس الحكومة عبد العزيز المذكور حتى توفّي فوليها بعده ابنه محمد، ثمّ ابنه علي، ثمّ ابنه دخيل، ثمّ ابناه عريعر وعرار، ثمّ حاجة بن عريعر. وفي أيّامه تغلّب سعود بن عبد

---

(١) جاء في (فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ١/ ١٦٦) و (رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٨٣): «المهاشير» وهو غير صحيح.

(٢) تردّد السيّد محسن الأمين في لقبه بين «المطيري» و «المطيرفي» كما في (أعيان الشيعة: ٨/ ٣٩٠)، وتأكّد أنّه مطيرفي بعد وقوفه على (أنوار البدرين) كما صرّح به في (٨/ ٤٠٧).

(٣) سمّاها الكرماني «الحسا» في (ترجمة ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٦، ٢١، ٢٩، ٣٠، ٤٧، ٥٥)، وتبعه الحاجّ محمد كريم خان في مواضع عديدة (هدية الطالبين)، والشيخ أبو القاسم الإبراهيمي (فهرست كتب شيخ أحمد أحسائي)، وغلام حسين معتمد الإسلام (كلمهٔ أزهزار) وغيرهم.

(٤) لم نتمكّن من معرفته بالرغم من البحث عنه!! وقد ورد اسمه في قصّة أبي زيد الهلالي. وقصّة نزاع الشريف غالب مع بني خالد (قوم الأحسائي) فيها تخليط كثير، والظاهر أنّها أسطورة شعبيّة كأسطورة أبي زيد الهلالي، وقد ورد اسم الشريف غالب في هذه الأسطورة كثيراً.

(٥) يختلف تحديد الأحساء حديثاً عمّا كان عليه في القديم تبعاً لاختلاف التشكيلات الإدارية، قال حافظ وهبه: «كانت هذه المنطقة تسمّى قديماً البحرين وهجر، وكانت تطلق على المنطقة الممتدّة من البصرة إلى عمان، أمّا اليوم فتطلق الأحساء على المنطقة الممتدّة على الساحل الغربي من خليج فارس من حدود الكويت الجنوبية إلى حدود قطر وعمان وصحراء الجافورة حيث يحدّها من الغرب الصمّان» (جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ٦٨): ويراجع: عباس العزاوي (تاريخ العراق بين احتلالين: ٥/ ٧٤)، والهمداني (صفة جزيرة العرب، ص ١٣٦)، وابن غنّام (تاريخ نجد، ص ٣٢)، وابن الأثير (اللباب في تهذيب الأنساب: ٢/ ٢٧٤)، وياقوت الحموي (معجم البلدان: ١/ ١٣٦)، وابن نبهان (التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية: ١/ ٣٢)، وغيرها.

(٦) في (ترجمة ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٦) أنّه قتل.

(٧) لم نتوصّل إلى معرفته، ويغلب على الظنّ أنّه من عائلة «آل أفراسياب» حكام البصرة في القرن الحادي عشر الهجري، وقد سبق لنا التحدّث عنهم (ديوان الكعبي، ص ٥٣ و٥٤ من المقدّمة).

العزيز آل سعود العنزي على الإحساء فتسلّم الإمارة وحكم... وبعد زمن تصاهر آل سعود وآل عريعر بعد أن كان آل عريعر يترفّعون بنسبهم على آل سعود[1]، وأمّ الملك المعاصر سعود بن عبد العزيز «وضحاء» بنت محمّد بن برغش بن عقاب بن عريعر[2]، فآباؤها هم شيوخ بني خالد.

وكان آباء الإحسائي يسكنون البادية، ولم يكن لأحد منهم حظّ من المعرفة والثقافة بحكم سكنى الصحاري، وكانوا على مذهب أهل السنّة، ولكنّهم لم يكونوا متعصّبين[3]. واتّفق نزاع بين داغر ـ الجدّ الرابع[4] للمترجم له ـ وأبيه رمضان أدّى إلى فراقهما؛ حيث هاجر داغر بأهله إلى قرية «المطيرف»، ولم يمضِ عليه زمن طويل حتى اعتنق مذهب الشيعة الإمامية لسيادته في تلك الربوع. وقد أشار المترجم له ـ في ما كتبه عن نفسه ـ إلى ذلك بقوله عند سياق نسبه بعد ذكر جدّه داغر: «غفر الله لهم جميعاً»[5]، ثمّ ذكر رمضان ومن سبقه بعد تلك الجملة بحيث تشمل ما قبلها دون ما بعدها، وصرّح بعد ذلك بقوله: «ومنّ الله عليه ـ على داغر ـ بالإيمان ليستنقذنا من الضلالة، وكان أولاده كلّهم من الشيعة الاثني عشرية»[6]. وعلّق الشيخ أبو القاسم الإبراهيمي على ذلك بما ترجمته: «إنّ الشيخ لم يطلب المغفرة لأربعة من آبائه؛ هم: رمضان وراشد ودهيم وشمروخ، لأنّهم لم يكونوا شيعة متابعاً بذلك إبراهيم الخليل عليه السلام والقرآن الكريم»[7].

وقد تعاقب في قرية المطيرف بعد داغر أولاده وأحفاده حتى المترجم له.

---

(١) رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائيد، ص ٨٤.

(٢) الملك الراشد عبد العزيز آل سعود، ص ٤٤٩. وقد سمّى جدّها عريعر «عويعر» بالواو.

(٣) لغت نامهٔ، حرف الألف، ص ١٣٩٦، وشيخ أحمد أحسائي، ص ٢، وفلاسفة إسلام، ص ٥٤، وشيخيگري بابيگري، ص ٧.

(٤) يؤكّد معظم مترجميه على أنّه الجدّ الثالث لإسقاطهم «إبراهيم الثاني» من سلسلة نسبه كما سبقت الإشارة إليه.

(٥) سيرة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٩.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ١/١٦٦.

٢ ـ ولادته ونشأته

ولد الإحسائي في قرية المطيرف[١] في شهر رجب عام ١١٦٦هـ/ ١٧٥٢م، كما ذكره بنفسه[٢]، وذكره ولده الشيخ عبدالله[٣]، ولم يكن أبوه «زين الدين» من أهل المعرفة والكمال لكنّه كان يحسن القراءة والكتابة والإلمام بالمبادئ الأوليّة كما يظهر[٤]، وقد نشأ عليه ولده، وكانت المطيرف كما قاله بنفسه: «قرية انتشر فيها الجهل وعمّ الناس... وليس فيها أحد ممّن يدعو إلى الله وعبادته، ولا يعرف أهلها شيئاً من الأحكام ولا يفرّقون بين الحلال والحرام... بل كان أهل البلد، صغيرهم وكبيرهم، لهم مجاميع يجتمعون فيها بالطبول والزمور والملاهي والغناء والعود والطنبور[٥]، وكانوا حريصين على المعاصي كلّ الحرص، ولم

---

(١) قال الشيخ علي البلادي البحراني: «قرية من قرى الأحساء من جهة الشمال منها كثيرة المياه» (أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين، ص ٤٠٦). وقال الشيخ غلام حسين معتمد الإسلام ما ترجمته: «من قرى الأحساء المعروفة تمتاز بوجود كثير من عيون الماء الطبيعية فيها لا سيّما عين أمّ السبعة المشهورة» (كلمة أزهزار، ص ٣)، وقد سمّاها الشيخ علي الحائري بـ «المطيرفي» (رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٨٣)، وكذا مرتضى الچهاردهي (شيخ أحمد أحسائي، ص ٢) ومعتمد الإسلام (كلمة أزهزار، ص ٣، ٢٧)، ونفى الشيخ محمد الخالصي أن تكون في الأحساء قرية باسم المطيرف وأن يكون الشيخ أحمد أحسائياً، واحتمل مجيئه من أفريقيا وأنّ له مع أعداء الإسلام نسب وصلة (خرافات شيخية وكفريات إرشاد العوام، ص ٧٢)، وقد ردّه الشيخ غلام حسين معتمد الإسلام (كلمة أزهزار، ص ٣)، وقال الخالصي أيضاً تحت عنوان: «رجال الدعوة اللادينية في العراق وإيران» ما نصّه: «الأوّل أحمد الأحسائي؛ وهو رجل أسود اللون سمّى نفسه أحمد وادّعى أنّه أحسائي. والأحساء بريئة منه»، وقال: «ولذا يظهر من القرائن المفيدة للعلم أنّ الشيخ أحمد الأحسائي والسيّد كاظم الرشتي كانا قسّيسين»، وقال: «إنّ الشيخ أحمد والسيّد كاظم كانا قسّيسين تسمّيا بهذا الاسم». (الشيخية والبابية والمفاسد العالمية، ص ٣٨، ٤٠ و٥٠)، وقال السيّد ضياء الدين الروطاني مثل ذلك (مزدوران استعمار در لباس مذهب/ ٣٩ ـ ٤٢)، وردّه معتمد الإسلام (كلمة أزهزار، ص ٢٩ ـ ٣٩).

(٢) سيرة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٩.

(٣) ترجمة ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٥. وجاء في (شيخ أحمد أحسائي، ص ٣) و (شيخيگري بابيگري، ص ٧) و (فلاسفة إسلام، ص ٥٤) أنّه ولد عام ١١٦٠هـ/ ١٧٤٦م، وهو خطأ حتماً.

(٤) سيرة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ١٢.

(٥) المصدر نفسه، ٩، ١١.

يكـن فيهم من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. وقد ولعوا باللهو وانغمروا فيه، وكـان كلّ فرد منهم يعلّق ما يملكه من آلات الطرب وأدوات اللهو على باب داره مبـاهـاةً يتفـاخـرون بهـا فـي ما بينهم. وكانت لهم مجالس خاصّة يتجمهرون فيها فيشتغلون بالملاهـي ويعكفـون على المناهي بصورة جماعية ولا يفوت ذلك منهم أحد[1]. وقد ترجم الإحسائي لنفسه، بطلب من ولده الشيخ محمد تقي، في مقالة موجزة نشـرها الشيـخ أبو القاسم الإبراهيمي مع الرسالة الملحقة بها، والتي كتبها الإحسائي لبعض أصحابه نصّاً [2] وأخرجها الدكتور حسين علي محفوظ مستقلّة[3]، وقد خصّ الإحسائي فيها عهد الطفولة بحديث طريف نقتطف منه ما يأتي:

«كـانـت ولادتي في السنة السادسة والستّين بعد المائة والألف من الهجرة، فـي شهر رجـب المـرجّب، وعلى رأس السنتين من ولادتي جاء مطر شديد وأتت بلادنا سيول من الجبال حتى كان عمق الماء في المكان المرتفع من بلادنا ذراعين ونصفاً تقريباً. وفي ذلك اليوم تولّد المرحوم المبرور أخي الشيخ صالح تغمّده الله برحمته وأسكنه بحبوحة جنّته. وفي اليوم الثالث وقعت بيوت بلدنا كلّها ولم يبقَ فيها إلاّ مسجدها وبيت لعمّتي فاطمة الملقّبة بحبابة ـ رحمة الله عليها ـ، وكان ـ حينئذٍ ـ عمري سنتين، وأنا أذكر هذه الواقعة، وعلى مختصر القصّة قرأت القرآن وعمري خمس سنين.

وكنت كثير التفكير في حالة طفولتي حتـى أنّـي إذا كـنت مع الصبيان ألعب معهـم كمـا يلعبـون[4] ولـكـن كـلّ شـيء يتـوقّـف علـى النظر أكون فيه مقدّمهم وسابـقهم. وإذا لـم يكـن معي أحد من الصبيان أخذت في التفكّر والتدبّر. وأنظر فـي الأمـاكـن الخربـة والجدران المنهدمة أتفكّر فيها وأقول في نفسي: هذه كانت

(١) شيخيگري بابيگري، ص ٧، وشيخ أحمد أحسائي، ص ٣.
(٢) فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ١/ ١٦٦ ـ ١٨١.
(٣) سيرة الشيخ أحمد الأحسائي، مطبعة المعارف ـ بغداد، عام ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.
(٤) أنكر الشيخ عبدالله الأحسائي أن يكون والده قد لعب مع الأطفال في صغره (ترجمة ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٨)، وردّ عليه مؤكّداً ذلك ومعتمداً على اعتراف المترجم هذا الشيخ أبو القاسم الإبراهيمي (فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ١/ ١٦٨).

عامرة ثمّ خربت. وأبكي إذا تذكّرت أهلها وعمرانها بوجودهم، وأبكي بكاءً كثيراً حتى أنّه لمّا كان حسين بن أفراسياب الباشا حاكم الإحساء وتألّب عليه العرب، وأتى محمد آل عزيز وحاصروا الباشا[1] وقتلوا الروم وأخذوا الإحساء وحكم فيها محمد آل عزيز، وبعد أن مات حكم في الإحساء ابنه عليّ آل محمد، وقتله أخوه وجين أبو عرعر، وكان مقتله قرب عين الحوار ـ بالحاء المهملة ـ ودفن هناك، فإذا مررت ـ وعمري خمس سنين تقريباً ـ بقبره أقول في نفسي: أين ملكك؟ أين قوّتك؟ أين شجاعتك؟ وكان في حياته ـ على ما يذكرون ـ أشجع أهل زمانه وأشدّهم قوّة في بدنه. وأتذكّر أحواله وأبكي بكاءً شديداً على تغيّر أحوال الدنيا وتقلّبها وتبدّلها. وكانت هذه حالتي إن كنت مع الصبيان في لعبهم فأنا مشتغل باللعب معهم وإن كنت وحدي فأنا أتفكّر وأتدبّر.

وكان أهل بلدنا في غفلة وجهل لا يعرفون شيئاً من أحكام الدين، بل كلّ أهل البلد، صغيرهم وكبيرهم، لهم مجامع يجتمعون فيها بالطبول والزمور والملاهي والغناء والعود والطنبور، وكنت مع صغري لا أقدر أصبر عن الحضور معهم ساعة وعندي من الميل إلى طرفهم ما لا أكاد أصفه[2] وأبكي وحدي شوقاً إلى ما أتخيّله من أفعالهم حتى أكاد أقتل نفسي، وإذا خلوت وحدي أخذت في الفكر والتدبّر، وبقيت على هذه الحال، فلمّا أراد الله سبحانه إنقاذي من تلك الحالات اجتمعت مع رجل من أقاربنا من المقدّمين في طرق الضلالة، المتوغّلين في أفعال الغواية والجهالة وقال: أنا أريد أن أنظم بعض أبيات الشعر وأريدك تعينني. هذا وأنا صغير ما بلغت الحلم، فقلت له: أفعل. فقعدنا في خلوة، فأخذ أوراقاً صغاراً عنده يقلّب فيها، وإذا فيها أبيات شعر منسوبة للشيخ علي بن حمّاد البحراني الأوالي ـ تغمّده الله برحمته ورضوانه ـ في مدح الأئمّة عليهم السلام، وهي:

---

(١) في (ترجمة ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، ص٦) أنّه قتل.

(٢) أنكر ولده الشيخ عبدالله حضور والده تلك المجالس (ترجمة ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٨)، وردّ عليه الشيخ أبو القاسم الإبراهيمي مستنداً إلى اعتراف الأحسائي نفسه (فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ١/١٦٩).

لله قــوم إذا مــا الليــل جنّهــم قاموا من الفرش للرحمٰن عبّادا
الأرض تبكي عليهم حين تفقدهم لأنّهــم جعلــوا لــلأرض أوتــادا
هم المطيعون في الدنيا لخالقهم وفي القيامة سادوا كلّ من سادا
محمّد وعليّ خير من خلقوا وخير من مسكت كفّاه أعوادا
ويركبون مطايا لا تملّلهم إذا هُمُ بمنادي الصبح قد نادى

فلمّا قرأ هذه الأبيات ألقاها وقال: الحاصل... إنّ الذي ما يعرف النحو ما يعرف الشعر. فلمّا سمعت هذا الكلام منه وكان صبيّ، أمّه بنت عمّ أمّي ـ تغمّده الله برحمته ـ اسمه الشيخ أحمد بن محمد آل ابن حسن، يقرأ النحو في بلدة قريبة من بلدنا بينهما قدر فرسخ عند المرحوم الشيخ محمد ابن الشيخ محسن قدّس الله روحه، قلت للشيخ أحمد: ما أوّل شيء يقرأ فيه من النحو؟ فقال: عوامل الجرجاني. فقلت له: أعطني أكتبها. فأخذتها وكتبتها ولكنّي أستحي أن أذكر لوالدي ـ قدّس الله روحه ونوّر ضريحه ـ لأنّه كان عندي من الحياء شيء ما يتصوّر، حتى أنّ ذلك الحال الذي أشرت إليه من الاشتياق إلى أفعال أولئك الفسّاق ما اطّلع عليه أحد إلاّ الله سبحانه، فمضيت فيه إلى موضع من بيتنا يقعد فيه، والدي ووالدتي ونمت فيه وبيّت بعض الأوراق التي فيها العوامل، وأتت والدتي وأنا مغمض عيني كأنّي نائم ثمّ أتى والدي وقال لوالدتي: ما هذه الأوراق التي عند أحمد؟ قالت: ما أعلم. فقال: ناولينيها. فأخذتها، وأنا أرخيت أصابعي ـ من حيث لا تشعر ـ حتى تأخذ القرطاس فأخذتها وأعطتها والدي ـ رحمهما الله ـ فنظر فيها وقال: هذه رسالة نحو، من أين له هذه؟ قالت: ما أدري. قال: ردّيها مكانها فردّتها، وألنت أصابعي ـ من حيث لا تشعر ـ فوضعتها في يدي فبقيت قليلاً ثمّ تمطّيت وانتبهت وأخفيت القرطاس، كأنّي أحبّ أن لا يطّلع عليها. فقال لي والدي: من أين لك هذه الرسالة النحوية؟ قلت: كتبتها. فقال لي: تحبّ أن تقرأ في النحو؟ فقلت: نعم، وجرت «نعم» على لساني من غير اختياري ـ وأنا في غاية الحياء ـ كأنّ قولي «نعم» من أقبح الأشياء. ولكنّ الله ـ وله الحمد والشكر ـ أجراها على لساني من غير اختياري. فلمّا كان من الغد أرسلني مع شيء من النفقة

إلى البلد التي فيها الرجل العالم؛ أعني الشيخ محمد ابن الشيخ محسن، واسمها: القرين، ووضعني مع ذلك الصبيّ الذي تقدّم ذكره وهو الشيخ أحمد ـ رحمه الله ـ فكان شريكي في الدرس عند الشيخ محمد. وقرأت «العوامل» و «الأجرومية» عنده، ورأيت في المنام رجلاً كأنّه من أبناء الخمس والعشرين سنة أتى إليّ ـ وعنده كتاب ـ فأخذ يعرّف لي قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى/ ٢ و٣]. مثل خلق أصل الشيء يعني هيولاه، فسوّى صورته النوعية وقدّر أسبابه فهداه إلى طريق الخير والشرّ؛ يعني من هذا النوع وإن لم يذكر خصوص ما ذكرته. فانتبهت وأنا منصرف الخاطر عن الدنيا وعن القراءة التي يعلّمناها الشيخ لأنّه كان يعلّمنا: زيد قائم، زيد: مبتدأ، وقائم: خبره. وبقيت أحضر المشايخ ولا أسمع لنوع ما سمعت في المنام من ذلك الرجل شيئاً...»[1].

إلى هنا ينتهي حديث الشيخ أحمد عن تلمذته وأساتذته الذين أخذ عنهم في بلاده، كما أنّ المصادر التي تعرّضت لترجمته، على كثرتها، لم تشر إلى مشايخه الذين قرأ عليهم المبادئ ومقدّمات العلوم أو تلقّى عنهم هناك.

٣ ـ هجرته إلى العراق وإيران وتنقّلاته فيهما

هاجر الإحسائي إلى العراق في سنة ١١٨٦هـ/ ١٧٧٢م، وعمره يومذاك عشرون سنة[2]، وهبط النجف، وظلّ ينتقل بينهما وبين كربلاء ملازماً لحضور دروس مشاهير الوقت؛ وهم الشيخ محمد باقر البهبهاني في كربلاء[3]، والسيّد

(١) سيرة الشيخ أحمد الأحسائي، ٩ ـ ١٣.

(٢) جاء في (ترجمة ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٢٢) أنّ هجرته كانت عام ١١٧٦هـ/ ١٧٦٢م، وهو من خطأ المترجم أو الناسخ حتماً لأنّه صرّح بأنّه كان يومذاك ابن عشرين سنة، وسبق له أن صرّح بأنّ ولادته كانت عام ١١٦٦هـ/ ١٧٥٢م. وقد تبعه في خطئه المذكور مرتضى الچهاردهي في كتبه الثلاثة: (شيخ أحمد أحسائي، ص ٥) و (فلاسفهٔ إسلام، ص ٥٧) و(شيخيگري بابيگري، ص ٩) مع تصريحه بأنّه كان ابن عشرين سنة أيضاً. ونقل ذلك عنه على أكبر دهخدا في (لغت نامهٔ، حرف الألف، ص ١٣٩٧) وقد انتبه إلى ذلك الخطأ الشيخ أبو القاسم الإبراهيمي (فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ١/ ٢٠٢).

(٣) تقدّمت له ترجمة ص ٢.

مهدي بحر العلوم[1] والشيخ جعفر كاشف الغطاء في النجف، وغيرهم. وبعد مدّة حلّ في العراق طاعون جارف فتك بالناس فتكاً ذريعاً، وفرّ المجاورون منه وتفرّقوا في القرى والأرياف، وهرب بعضهم إلى خارج العراق، فعاد الإحسائي إلى بلاده[2] فتزوّج وظلّ هناك فترة ظهر خلالها اسمه واشتهر. وفي سنة ١٢٠٨هـ/ ١٧٩٣م هبط البحرين فسكنها مع عائلته أربع سنوات. وفي شهر رجب عام ١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م عاد إلى العراق ثانيةً للزيارة. فزار النجف وكربلاء والكاظمية وسامرّاء، وعاد فسكن البصرة ونزل محلّة «جسر العبيد» وطلب أهله من البحرين وحلّ في دار الحاجّ إبراهيم العطّار أبو جلّة ثمّ ذهب إلى الدورق[3]،

---

(١) من أكبر علماء عصره ومشاهير رجاله علماً وأدباً ومشاركةً في الفنون ورجاحة عقل وسعة أفق، انتهت إليه المرجعية في وقته، وأجمعت الكلمة على عظمته، وأصاب زعامة واسعة وشهرة طائلة، تخرّج عليه جمع من أعاظم الفقهاء وعمد الطائفة. وهو جدّ أسرة «آل بحر العلوم» العلمية في النجف، ولد في كربلاء عام ١١٥٥هـ/ ١٧٤٢م، وتوفّي في النجف عام ١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م. له تراجم في (منتهى المقال في أحوال الرجال، ص ٣١٤) و(تحفة العالم، ص ١٣٦) و (الروضة البهية، ص ١١) و (روضات الجنات، ص ٦٧٧) و (قصص العلماء، ص ١٣٣) و (مستدرك الوسائل: ٣/ ٣٨٣) و (لباب الألقاب، ص ٢١) و (الكنى والألقاب: ١/ ٥٩) وغيرها.

(٢) تقدّمت له ترجمة ص ١١.

(٣) اتّفقت آراء معظم مترجميه على أنّ طاعوناً وقع في العراق بعد هجرته إليه وأنّه هرب منه مع من هرب. والمراد به الطاعون المظيم «أبو جفجير» الذي وقع سنة ١١٨٧هـ/ ١٧٧٣م، وأرّخ بلفظة «الطاعون عظيم» (ماضي النجف وحاضرها: ١/ ٤٠٨) و (أثر الطواعين في القضاء على التراث العلمي والأدبي في العراق، للمؤلّف، مخطوط، ص ١٠)، وكان ابتداؤه في شهر رمضان واستمرّ حتى صفر عام ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م (مخطوطات مكتبة السيّد محمد البغدادي، ص ١٧١) وعلى فرض صحّة عام هجرته يتناقض مع تتلمذه على بحر العلوم لأنّ الأخير هرب من طاعون وقع عام ١١٨٦هـ/ ١٧٧٢م إلى إيران، وهو عام هجرة الأحسائي إلى النجف (مستدرك وسائل الشيعة: ٣/ ٣٨٧) و (ماضي النجف وحاضرها: ١/ ٤٠٨)، وسكن خراسان سبع سنين ولم يعد إلى النجف إلاّ عام ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م) (رجال السيّد بحر العلوم: ١/ ٣٤). وسيأتي في المتن أنّ الأحسائي لم يعد إلى النجف إلاّ عام ١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م، وهو عام وفاة بحر العلوم مع أنّ الأحسائي أجيز منه في النجف عام ١٢٠٩هـ/ ١٧٩٤م، كما ينصّ عليه تاريخ الإجازة (ترجمة ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٩٣)، وصرّح معظم مترجميه أنّه استجازه فلم يكن يعرف مقدار فضله فطلب منه إطلاعه على بعض آثاره ثمّ أجازه؛ ممّا يؤكّد وجوده في النجف يومها. وبالجملة، فإنّ تواريخ أسفاره غير مضبوطة.

وكـان حاكمها الشيخ علوان بن شاوه[1] يبالغ في احترامه، وبعد سنتين من سكناه فيهـا حـاصر الشيخ محمد بن مبارك حاكمها الشيخ علوان فأخرجه وحكم مكانه، وفـي يـوم الغـديـر ـ الثامن عشر من ذي الحجّة ـ عام ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م[2] هاجم الـوهـابيـون كـربلاء فقتلوا وأحرقوا وسبوا ونهبوا فراح ضحيّة ذلك الغزو البربري والعمل الـوحشـي سبعة آلاف من أهل البلد والزوّار الذين قدموا إلى المدينة، من الكبار والصغار والرجال والنساء، فكان لذلك وقع شديد على نفس الإحسائي، كما هي الحال بالنسبة للشيعة وعلمائهم في كلّ مكان. وقد ضاعف ذلك من حبّه للعـزلـة وابتعـاده عـن الناس، وصادف أن وقعت نفرة بينه وبين الشيخ محمد ابن الشيـخ مبـارك فهبط البصرة ونزل دار «ابن بدران» فترة، فتهافت عليه الناس فهبط قرية «الجبارات» من قرى البصرة، وبعد فترة هبط قرية «التنّومة» زمناً، وانتقل منها إلى قرية «النشوة» فمكث فيها ثمانية عشر شهراً، فلم ترق له لأنّها لم تحقّق رغبته في الخلوة بنفسه والابتعاد عن الناس فعاد إلى البصرة من جديد بعد أن ظلّ يتنقّل بين القرى زمناً فراراً من الشهرة واجتماع الناس من حوله.

وكان السيّد عبد المنعم الجزائري ـ من أشراف البصرة ومشاهيرها ـ قد سمع بـرغبـة الإحسائي في العزلة والخلود إلى الهدوء. فعرض عليه النزول في قرية له تسمّـى «الصفا» لأنّه لّن يجد خيراً منها لبعدها عن المارّة. فهبطها مع عائلته سنة ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م، ومكث فيها سنة كاملة، فلم يكن مكان أسوأ منها في نظره من حيـث الهـواء والتربـة. ونظـم قصيدة في ذمّها. ثم هبط قرية «شط الكار» العائدة للسيّد أحمد بن هـلالـة مـدّة، ثمّ ترك عائلته فيها مع ولده الشيخ علي وذهب إلى «سـوق الشيـوخ» بـالقـرب من «الناصرية» مع ولده الشيخ عبدالله، وكان سبقه إلى

(١) سمّاها مترجم رسالة ولده الشيخ عبدالله بـ «الذورق» بالذال «ترجمة ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٢٦، ٢٨)، وتبعه الشيخ أبو القاسم الإبراهيمي (فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ١/ ٢٠٥ و٢٠٦)، وسمّى المترجم التنومة بـ «التنوية»، ص ٢٧، والجبارات بـ «الحبارات».

(٢) سمّاه مترجم رسالة ولده: «شناوة» (ترجمة ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٢٦)، وسمّاه الإبراهيمي: «شاوه» (فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ١/ ٢٠٥).

سكنى «السوق» ولده الشيخ محمد تقي. فمكث فترة وترك ولده الشيخ عبدالله عنده ليكمل تحصيله العلمي على أخيه وعاد إلى البصرة فاستأجر داراً لعياله وأولاده ونقلهم إليها وصمّم على زيارة الإمام الرضا عليه السلام في «خراسان».

إلى إيران

وفي سنة ١٦٢١هـ/١٨٠٦م جدّد العهد بزيارة العتبات المقدّسة في العراق مع ولده الشيخ علي، ومعه من أصحابه: السيّد صالح ابن السيّد سلمان المولوي الموسوي، والسيّد حسين بن أحمد الحسيني، والحاجّ خليفة بن ديرم الإحسائي. ومن زوجاته: مريم بنت خميس، وآمنة بنت أحمد. ثمّ سافر منها إلى إيران، ولمّا وصل إلى يزد اجتمع به بعض أهلها ـ وكان الشيخ جعفر كاشف الغطاء النجفي هناك يومئذ ـ وعرضوا عليه البقاء عندهم فوعدهم بتحقيق رغبتهم في العودة من زيارة الإمام. وواصل سيره فوصل إلى خراسان فزار ومكث مدّة ثمّ عاد إلى يزد كما وعد.

في يزد

وقد أحاطه أهلها بالرعاية والعناية البالغة طوال مدّة بقائه وأحبّوه كثيراً، ولمّا عزم على العودة إلى العراق امتنعوا من السماح له والتمسوا منه البقاء وحالوا دون سفره بمختلف الوسائل، فعدل عنه وبعث بعض أفراد عائلته مع سائر أصحابه إلى البصرة برعاية ولده الشيخ علي عن طريق أصفهان وشيراز، وظلّ مع زوجته في يزد، ومذ توطّن على البقاء شرع في التدريس والوعظ فتألّق نجمه وطار اسمه فسمع به السلطان فتح علي شاه القاجاري وأحبّه وأعجب به على البعد واشتاق إلى زيارته فكتب إلى حاكم يزد أن يسيّره إلى العاصمة مكرَّماً فامتنع الشيخ لمخالفة ذلك لرغبته في الانطواء، فكتب إليه السلطان يدعوه فأصرّ على الرفض بغضاً للشهرة وفراراً من الزعامة وتبعاتها، فكرّر دعوته وتبودلت بينهما الرسائل في ذلك مراراً فلم يزد ذلك الإحسائي إلاّ إصراراً على الرفض.

ونقل ولده الشيخ عبدالله، ومرتضى الچهاردهي موجز رسالة كتبها السلطان إليه بالفارسية، وتعريب الموجز ما يأتي: «كان الواجب يقضي عليّ بأن أتشرّف

بزيارتك لأنّك الإمام المقتدى والمرجع للخاصّ والعامّ فقد شرّفت مملكتنا ونوّرتها بقدومك. لكن ذلك ليس في مقدوري لعدّة أسباب، فأنا معذور لأنّني إذا هممت بالتشرّف في خدمتك لزم أن يصحبني ما لا يقلّ عن عشرة آلاف جندي، وبما أنّ يزد مدينة صغيرة وواد غير ذي زرع فإنّ دخول هذا الجيش سيسبّب ضائقة معيشيّة وارتفاعاً في أسعار الحاجيات الاستهلاكية. وطبيعيّ أنّك لا ترضى بغضب الله وما لا يرضيه. وإلاّ فأنا أقلّ من أن أحظى بين يديك فكيف بأن أتكبّر؟ فإن شرّفت على أثر وصول هذه الرسالة إليك فهو المطلوب وإلاّ فسأضطرّ للتوجّه إلى يزد»[1].

وأورد الشيخ أبو القاسم الإبراهيمي ـ نقلاً عن كشكول السيّد حسين اليزدي ـ رسالة عربية كتبها فتح علي شاه إلى الإحسائي، وهذا نصّها: «الحمد لله الذي شوّقنا بلقاء ـ كذا ـ الشيخ الجليل والحبر النبيل، قطب الأقطاب ولبّ الألباب، حجّة الله البالغة ونعمته السابغة، أضحى بدوحة العلوم غصنها سمقاً، وأميط عن صباحها من الجهل عنقاً ـ كذا ـ علاّمة العلماء، أعرف العرفاء، أفقه الفقهاء، أدام الله بقاءه ويسّر لنا لقاءه. وبعد، لا يخفى عليك يا بدر أهل الدين وبحر ملّة اليقين، كعبة الفضائل ونقاوة الخصائل، أنّا نشتاق إليك شوق الصائم إلى الهلال، والعطشان إلى الزلال، والمحرم إلى الحرم، والمعدم إلى الدرهم، ونرجو منك، بعد وصول هذه الورقة، أن تقدم بالعطف والشفقة وتتوجّه إلينا وتتوقّف برهة لدينا، حتى نستفيض منك وأنت السحاب المطير، ونقتبس منك وأنت السراج

(١) سها ولده في رسالة ترجمة أبيه فقال: إنّ هجوم الوهابيين كان في بداية هذه السنة، بينما صرّح أنّه كان في يوم الغدير؛ وهو آخر شهر منها كما أشرنا إليه (ترجمة ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٢٦). وللاطّلاع على حادثة الوهابيين تراجع (أربعة قرون من تاريخ العراق، ص ٢٢٧، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣) و (تاريخ كربلاء المعلى، ٢٠ ـ ٢٢) و (بغية النبلاء، ٣٣ ـ ٣٦) و (تاريخ كربلاء، ص ٢٣٣) و (تاريخ العراق بين احتلالين: ٦/ ١٤٤) و (تحفة العالم: ١/ ٢٩٠) و (أعيان الشيعة: ٤/ ٣٠٧) و (تراث كربلاء، ص ٢٦٢ ـ ٢٦٧) و (دائرة المعارف الإسلامية، مادّة سعود وكربلاء) و (ديوان الحاجّ هاشم الكعبي، ص ١١٨ ـ ١٢١) و (روضات الجنات، ص ٢٦٥، و٣٥٣) و (زنبيل فيرهاد، ص ٣٤٨) و (شهداء الفضيلة، ص ٢٨٨ ـ ٣٠٤) و (مجالي اللطف بأرض الطف، ص ٥٣) وغيرها.

المنير، ونقتطف وأنت الروض الظاهر ـ كذا ـ ونجتني وأنت الشجر الباهر، وإذا دعيتم فأجيبوا فإنّ منزلكم عندنا لرحيب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[1].

لم تزد تلك الرسائل المتتالية والإلحاح الجادّ من قبل السلطان، الشيخ الإحسائي إلاّ إصراراً على الامتناع ومبالغة في الرفض؛ ذلك لأنّه كان يحبّ العزلة والانزواء وخمول الذكر وترك علاقة عامّة الناس، فكيف بالملوك والأمراء وما يفتضي ذلك من التزامات تخرج المرء عن طوره وتصرّفه إلى غير هدفه؟ وعندما شعر بالمضايقة من الحكّام والوجوه لتلبية طلب الشاه قرّر الفرار عن طريق شيراز فالبصرة. فأحسّ الحكّام وأهالي يزد بذلك فتجمهروا في بيته وطلبوا منه حفظ أرواحهم لأنّ الحكومةِ في العاصمة ستفسّر ذلك بأنّه خوف من ورود السلطان إلى يزد وتمهيد طريق الفرار للإحسائي. ولمّا تيقّن وقوع الضرر عليهم من ذلك نزل عند رغبتهم واضطرّ للبقاء، وسمت مكانته عند الأهالي أكثر لما علموه من مقامه عند السلطان. ثمّ استجاب للدعوة فتوجّه إلى طهران في موكب عظيم، وشيّعته يزد، حكومةً وشعباً، وجرى له في كلّ مدينة أو قرية مرّ بها تكريم وتعظيم واستقبال، وتوديع وطبّق نبأ مسيره أرجاء البلاد الإيرانيّة.

في طهران

وخرج لاستقباله موكب السلطان ورئيس وزرائه وسائر الوزراء والأعيان والأمراء، وهرع الناس على اختلاف طبقاتهم، وعلى رأسهم العلماء وكبار رجال الدين والفضل. وأنزله السلطان منزل الكرامة وحظي باحترام وإقبال لا يوصف، وكانت مكانته تزداد عنده يوماً بعد يوم[2]. وصادف أن حدثت زلازل متتالية في أطراف طهران أدّت إلى خراب الدور وسائر الأماكن القريبة من طهران. فرأى فتح علي شاه ليلةً في منامه قائلاً يقول: «لو لم يكن جناب الشيخ أحمد في هذه المدينة لهلك أهلها بالزلازل في ساعة واحدة»[3]، فاستيقظ مرعوباً وزاد تعلّقه

(١) ترجمة ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٣١، وشيخيگري بابيگري، ص ١١.
(٢) فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ١/٢٠٩.
(٣) دليل المتحيّرين، ص ٢٢.

بضيفه واعتقاده به، وأخذ يسأله بعض المسائل فيجيب عليها بكتب ورسائل فعظم قدره عنده للغاية، واعتقد أنّ طاعته فرض ومخالفته كفر.

وعرض السلطان على الشيخ، في بعض اجتماعاته معه، سكنى إيران؛ معلِّلاً بأنّ الشيعة وعلماءهم مضطرّون إلى التقيّة في العراق مداراة لآل عثمان، وعالم بصير مثله يجب أن يعيش في ظلّ حكم يمكّنه من إظهار علمه ونشر معارفه، أضف إلى ذلك أنّ العرب لا يأنسون بالحكمة والأسرار والعلوم العقلية التي يبرع الإحسائي فيها ويعمل على نشرها، ولا يتطلّبونها. وقد اعتذر إليه لأوّل وهلة لكنّه كرّر ذلك عليه في لقاءاته التالية فوافق. وطلب إليه ثانيةً أن يختار طهران للسكنى فاعتذر إليه بعدم رجحان ذلك؛ وعلّله بأنّ الناس إذا رأوا إقبال السلطان عليه وإصغاءه إليه، قصدوه في حوائجهم وشفعوا به في مشاكلهم، فإن رفض واعتذر أُبغض واتّهِم، وإن أجاب أحرج السلطان ببعض طلباته؛ إذ لا شكّ أنّ فيها ما يتنافى مع القانون ويناقض مصلحة الحكومة، فالأجدر به أن يسكن مدينة أُخرى، فإيران كلّها بلاده وتحت حكمه. فاقتنع السلطان بوجاهة عذره وخيّره فاختار العودة إلى يزد، وكان محمد علي ميرزا ابن السلطان فتح علي شاه والي كرمانشاه وخوزستان والحويزة وتوابعها حاضراً في المجلس. فأمره بأن يرسل بعض عمّاله إلى البصرة ليحمل عائلة الشيخ إلى يزد مكرّمة. وكتب محمد علي ميرزا رسالة إلى إبراهيم آغا حاكم البصرة طلب منه فيها أن يساعد رسوله على نقل عائلة الشيخ، وعاد الشيخ إلى يزد باحترام. وورد الميرزا شايق رسول محمد علي ميرزا إلى البصرة في أوائل ذي القعدة عام ١٢٢٣هـ/١٨٠٨م، فحملهم من طريق الأهواز فتستر فدزفول فخرّم آباد فبروجرد فكاشان. ووصلوا إلى يزد في غرّة صفر قبل تحويل السنة ـ عيد النوروز ـ بأربعة أيّام.

في يزد وخراسان ثانيةً

عاد الإحسائي إلى مزاولة أعماله العلمية من جديد، فشرع بالتدريس والإفادة ونشر المعرفة وإعمام الكمال، وكان مجلس درسه حاشداً بأهل العلم والفضل، ومسجده مكتظّاً بجموع المصلّين خلفه، وظلّ على مكانته لدى كبار

علمائها وأصحاب الرأي فيها. وفي سنة ١٢٢٦هـ/ ١٨١١م عزم على زيارة الإمام الرضا عليه السلام فصحب ولده الشيخ علي وبعض زوجاته فزار وعاد إلى يزد، وبعد فترة صمّم على زيارة العتبات المقدَّسة بالعراق، وكانت يزد قد تقدّمت كثيراً بواسطته وحظيت باهتمام السلطة والحاكمين من أجله؛ ولذلك عزّ على أهلها سفره وحاولوا إقناعه بالبقاء بشتّى الصور فلم يفلحوا. حتى أنّ أمين الدولة، حاكم البلد، حذّر المكاريّين من حمل أمتعته وهدّدهم فلم يجده ذلك. وخرج الشيخ بعياله في موكب ضخم وودّعه الناس وهم في أسى وبكاء.

في أصفهان

ومرّ موكب الإحسائي بأصفهان، وقد كانت أنباء الرحلة قد سبقته، فاستقبله أهلها؛ ولا سيّما العلماء والحكّام استقبالاً منقطع النظير، والتمسوا منه البقاء فلم تسعه الإجابة لأنّ الشاه زاده محمد علي ميرزا، حاكم كرمان شاه، كان قد أوفد المستقبلين إلى أصفهان ليصحبوا موكبه. وهكذا خرج مودّعاً بمثل ما استقبل به من احترام.

في كرمان شاه

واستقبله أهل كرمان شاه على بعد منزلين في «چاه كلان»، كما استقبله الشاه زاده مع حاشيته في «تاج آباد» على بعد أربعة فراسخ. ودخل المدينة بإجلال في الثاني من رجب سنة ١٢٢٩هـ/ ١٨١٣م. وقضى فيها أيّاماً كان خلالها موضع الإكبار والتقدير. وطلب منه الشاه زاده سكنى «كرمان شاه» فاعتذر وأخبره بأنّ سبب تركه ليزد لم يكن لضيق أمور معاشه ولا لعدم احترامه بين الناس، فقد شقّ عليهم ذلك لولا أنّ رغبته في مجاورة العتبات المقدَّسة هي التي أخرجته، فأجابه بأن خروج روحه من جسده أهون عليه من خروج الشيخ من «كرمان شاه» وأنّه يضمن له تهيئة وسائل الزيارة كلّ عام لأنّه يحبّ أن يرضي الله بخدمته ويكون له شرف جواره ليفخر بذلك أمام غيره من الولاة والحكّام، فوعده بتحقيق رغبته في العودة.

بين كرمان شاه والعراق

وهبط العراق فتشرّف إلى النجف وكربلاء والكاظميّة وسامرّاء، وقضى في كلّ مدينة مدّة، ثمّ عاد إلى كرمان شاه وبقي فيها نحو ثلاث سنين. وقد عاد إلى العراق خلال تلك المدّة غير مرّة وتكرّرت زياراته للعتبات مراراً. وكان يطيل المكث في كلّ مشهد فترة طويلة، وفي سنة ١٢٣٢هـ/١٨١٦م عزم على حجّ بيت الله الحرام وصحب ولده الشيخ عبدالله، ومعه من أصحابه وأتباعه: المولى مشهد التبريزي، والحاجّ أبو الحسن بن إبراهيم اليزدي، والحاجّ عبدالله بن إبراهيم آل عيثان القارئ الإحسائي، والحاجّ علي الدزفولي، فخرج عن طريق البادية.

في دمشق والديار المقدّسة

وصل الإحسائي إلى دمشق في أواخر شهر شعبان، فصام شهر رمضان، فيها وتحرّك إلى المدينة في منتصف شوّال فوصلها في الثاني والعشرين من ذي القعدة. وفي الرابع والعشرين منه خرج فأحرم من «مسجد الشجرة»[1]، وبعد تمام المناسك رجع إلى العراق من طريق نجد والجبل مع جم غفير من الحاجّ، وعند وصوله الجبل افترق عنهم واتّجه إلى النجف مع نفر من أصحابه، فهاجمت ركبه عصابة من اللصوص فقاتلهم.

في العراق وكرمان شاه مجدّداً

وفي غرّة ربيع الثاني وصل إلى النجف فأرسل ولده الشيخ عبدالله مع بعض خدمه إلى كرمان شاه وظلّ في النجف ثمانية أشهر، وفي الرابع من محرّم عام ١٢٣٤هـ/١٨١٨م عاد إلى كرمان شاه وعاش عدّة سنين بهناء وجلال حتى توفّي محمد علي ميرزا وشحّت النعم على أثر قيام الحرب بين العراق وإيران، وأدبرت أيّام البلد، وضاعف النكبة سيل عظيم أغرق ربع المدينة في ليلة واحدة وهلك الناس والمواشي والزرع، وفي العام الثاني من وفاته وقع وباء عظيم في كلّ إيران وفتك بالناس فتكاً ذريعاً، فعزم الإحسائي على زيارة الإمام الرضا عليه السلام.

---

(١) ترجمة ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٣٣.

في بعض مدن إيران

وهبط قم فقزوين فطهران، وذهب لزيارة مرقد السيّد عبد العظيم الحسني في الريّ[1] فوجد أهلها قد فرّوا إلى الجبال والصحاري فمكث أربعة أيّام واتّجه إلى طوس فوصل شاهرود فحلّ الوباء في ركبه فمات عدد من صحبه وإحدى زوجاته، ودخل خراسان مع اشتداد الوباء فمكث اثنين وعشرين يوماً وذهب إلى تربت فاستقبله حاكمها محمد خان بن إسحاق خان، ثمّ إلى طبس واستقبله أيضاً حاكمها علي نقي خان بن المير حسين خان الطبسي، وهمّ بالعودة إلى يزد وكان الطريق مخيفاً فأرسل معه الحاكم ابن عمّه مراد علي المعروف بالسطوة والشجاعة في مئة راكب ومئتي راجل حتى يزد.

في يزد وأصفهان وكرمان شاه

ووصل إلى يزد، ولم يطل مكثه فيها؛ فبعد ثلاثة شهور توجّه إلى أصفهان وحلّ في دار عبدالله أمين الدولة ابن محمد حسين خان صدر الدولة[2]، فطلبوا منه البقاء فأرسل أهله مع ولده الشيخ عبدالله إلى كرمان شاه وقضى شهر رمضان في أصفهان، وأحصي مرّةً عدد المصلّين خلفه فبلغوا ستّة عشر ألفاً، ولم يدّخر

---

(١) للحجّاج مواقيت ومنازل لا يجوز لهم اجتيازها إلاّ محرمين؛ وهي ستّة، وقد تعرّضت الكتب الفقهية لذكر تفاصيلها وخصائصها. و «مسجد الشجرة»: هو ميقات أهل المدينة وما جاورها أو من جاء عن طريقها.

(٢) هو عبد العظيم بن عبدالله بن عليّ بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، من علماء أهل البيت وكبار رواة أحاديثهم، ومن مشاهير الذرّية الطاهرة من آل محمّد، كان على جانب عظيم من الفقه والحديث والتقى، غمط تاريخ مولده ووفاته، وقبره في الريّ القديمة على بعد فرسخ من طهران مزار ضخم يقصد للتبرّك به، روى عن هشام بن الحكم المتوفى عام ١٩٨هـ/ ٨١٣م، ومات في زمن الإمام علي الهادي عليه السلام المتوفى عام ٢٥٤هـ/ ٨٦٨م. تعرّضت لذكره سائر معاجم الرجال والحديث، وألّفت في سيرته كتب منها: «جنّة النعيم والعيش السليم في أحوال سيّدنا عبد العظيم» للشيخ باقر الكجوري، طبع في طهران عام ١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠م. و «زندكاني حضرت عبد العظيم بن عبدالله الحسني» للشيخ محمد الرازي، طبع عام ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧م و «عبد العظيم الحسني: حياته ومسنده» للشيخ عزيز الله العطاردي، طبع عام ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م. وكلّها فارسية.

أمين الدولة وسعاً في إكرامه حتى أنّه أهداه قرية «كمال آباد»، وفي العاشر شوّال اتّجه إلى كرمان شاه فمكث سنة ثمّ عزم على مجاورة العتبات في العراق.

في كربلاء

وهبط كربلاء فمكث مدّة ثمّ همّ بالحجّ ثانية، وكان معه ـ هذه المرّة ـ ولده الشيخ حسن، والسيّد خلف بن علي النجّار، وموسى بن عبد الحسن، والحاجّ علي الكيشوان الكربلائي، واثنتان من زوجاته، وعبده سلطان، وبعض الخدم.

في الشام

وسافر عن طريق بادية الشام فهبط دمشق فمرض، وظلّ يواصل سيره ومرضه آخذ بالتزايد حتى توفّي في الطريق في منزل يقال له «هيدية» قرب المدينة المنوّرة.

٤ ـ وفاته وقبره وخلفه

توفّي الإحسائي وهو متوجّه إلى الحجّ في «هدية»[1] على ثلاث مراحل من

---

(١) من أسرة فارسية أصفهانية كانت لها في عهد ملوك آل قاجار صدارة ورياسة كما كانت لها بهم صلة نسب، نزحت إلى النجف في القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي، وكان جدّها الحاجّ محمد حسين خان، المتوفّى عام ١٢٣٩هـ/ ١٨٢٣م؛ صدراً في سلطنة فتح علي شاه. وقد أضافت إلى سمعتها الطائلة ومجدها الباذخ وثرائها الضخم شرف العلم والأدب؛ حيث نبغ فيها النابهون من رجال المعرفة والكمال. لها في العراق وغيره آثار خالدة من مساجد ومدارس ورباطات وقناطر وأسوار وقنوات وغيرها، كما خدمت الدين بتعزيز أهل العلم وإكرامهم ومدّهم بوافر الصلات والمنح. ومن آثار جدّها في النجف سور المدينة الذي هدمته الحكومة العراقية عام ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م لغرض توسعة البلد، ومدرسة الصدر، والباب الفضي في ايوان حرم الإمام علي عليه السلام.
وعبدالله خان أمين الدولة، أحد أنجاله الأكارم، تقلّب في مناصب الدولة ونال عالي الرتب ورأس الوزارة بعد أبيه، فتجلّت شخصيّته وظهرت قابليّاته، فقد سهر على مصلحة الشعب واشتهر بالاستقامة والعدل، ورعى حملة العلم، وروّج المذهب الجعفري، وكان إلى جانب ذلك شديد الورع، كثير العبادة، حريصاً على خدمة الدين، وقد لقّبه بعض من عاصره من مشاهير العلماء بـ «عليّ بن يقطين» الثاني (الفوائد البهائية، ص ٣٤).
ومن آثاره في النجف: ترميم قناة الماء التي كانت النجف تستقي منها، وإتمام سور البلد الذي بدأ به والده ولم يمهله الأجل لإكماله، وحمّاما الحضرة للرجال والنساء ـ وقد هدما عام =

المدينة[1] أو مرحلتين[2]، وذلك يوم الأحد[3] الواحد والعشرين من ذي القعدة[4] عام ١٢٤١هـ/[5]١٨٢٥م، وصلّى عليه ولده الشيخ علي نقي، كما قاله الميرزا علي الحائري[6]! ونقل إلى المدينة فدفن في البقيع خلف جدار قبّة

= ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م، ودخلا في الشارع المحيط بالصحن من جهة الغرب ـ وأملاك أُخرى من دكاكين وخانات وقفها على مدرسة الصدر لإطعام الطعام وسقي الماء وإسراج الأضوية ونحوها. وآثاره في طهران وأصفهان كثيرة مشهورة.

توفّي في الخامس والعشرين من شهر شعبان عام ١٢٦٣هـ/١٨٤٦م، وأعقب خمسة أولاد فيهم العلماء والشعراء وأصحاب المؤلّفات القيّمة، ومنهم: نظام الدولة الذي اشتهرت الأسرة في النجف باسمه «آل نظام الدولة»، ورثي بقصائد عديدة من قِبل أعلام الأدب والنابهين من رجاله، وعقد الشيخ جعفر آل محبوبة فصلاً لذكر هذا البيت في عداد الأسر النجفية (ماضي النجف وحاضرها: ٣/ ٤٨٠ ـ ٥٠٣) وفّى فيه حقّ المقال.

(١) تجمع مصادر ترجمته على أنّه توفّي في قرية اسمها «هدية»، والظاهر أنّه تصحيف. قال ياقوت الحموي: «الهدبيّة: بفتح أوّله وثانيه ثمّ باء موحّدة وياء مشدّدة... وهي قرية غنّاء كبيرة من أعمال المدينة والهدّة: بالفتح ثمّ التشديد، وهو الخسفة في الأرض. والهدّ: الهدم، وهو موضع بين مكّة والطائف... والهدة، بتخفيف الدال: من الهدى أو الهدى بزيادة هاء: بأعلى مرّ الظهران ممدرة أهل مكّة... والهدية بالتصغير موضع حوالي اليمامة...» (معجم البلدان: ٥/ ٣٩٥)، ويراجع: (تاج العروس: ١٠/ ٤٠٩) والظاهر أنّ الأوّل هو المقصود.

(٢) (دليل المتحيّرين)، ص ٥٢، وروضات الجنات: ١/ ٢٣٠) و (طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ٩٠) و (رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٨٤) و (فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ١/ ٢١٥).

(٣) ترجمة ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٥٤، وقال الشيخ عبدالله نعمة العاملي (فلاسفة الشيعة، ص ١١٣) والسيّد مهدي الكاظمي (أحسن الوديعة، ص ٣٠٨، ط ٢) والشيخ مرتضى كاشف الغطاء (فوز العباد، ص ٧٢): إنّه توفّي في المدينة. وقال الشيخ محمّد علي المدرّس (ريحانة الأدب في المعروفين بالكنية أو اللقب: ١/ ٤١): إنّه كان ساكنا في المدينة.

(٤) قال السيّد محسن الأمين (أعيان الشيعة: ٨/ ٣٩٠): يوم الجمعة.

(٥) قال معتمد الدولة (هداية السبيل، ص ١٢٨): من شهر رجب.

(٦) قال الشيخ علي البحراني (أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين، ص ٤٠٦ و٤٠٧): أثناء فريضة الحجّ سنة ١٢٤٢، وكذا في (دائرة المعارف الإسلامية: ١/ ٤٤٨). وقال السيّد محمد باقر الخوانساري (روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات: ١/ ٢٣١): إنّها كانت عام ١٢٤٣، وكذا أدوار براون (تاريخ أدبيات إيران: ٤/ ٢٧٦) والشيخ محمد علي الكشميري (نجوم السماء في أحوال العلماء، ص ٣٧٤) والشيخ عبدالله نعمة (فلاسفة الشيعة، ص ١١٣) والسيّد عبد الرزاق الحسني (البابيون والبهائيون في ماضيهم وحاضرهم، ص ١٣، ط٣). وجاء هناك تحت =

الأئمّة عليهم السلام [1] من طرف الجنوب، تحت ميزاب المحراب مقابل «بيت الأحزان»، وكان عمره خمساً وسبعين سنة كما قاله ولده، ورثاه[2] الشيخ علي نقي[3] وتلميذه الشيخ حسن جوهر[4]، وأرّخ وفاته الشيخ محمد

= صورته مقابل ص ١٢: إنّها ١٢٤٢ ـ والشيخ محمد هاشم الخراساني (منتخب التواريخ، ص ١٣٦) والسيّد محسن الأمين (أعيان الشيعة: ٨/ ٣٩١) عمّن رأى لوح قبره. وقد تردّد المدرّس (ريحانة الأدب: ١/ ٤١) بين ٤١ و٤٢ و٤٣ و٤٤.

(١) رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٨٢. والظاهر أنّه وهم لأنّ الشيخ علي نقي كان في إيران، والذي كان بصحبة الأحسائي من أولاده الشيخ حسن كما ذكره ولده الآخر الشيخ عبدالله، ترجمة ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٥٣) ويؤيّد عدم صحّة ذلك أنّ الشيخ علي نقي أرّخ وفاة أبيه في الثاني والعشرين من ذي القعدة (رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٨٤) والصحيح أنّها في الواحد والعشرين منه كما مرّ. ولو كان في صحبة أبيه حال وفاته لما فاته ضبط اليوم.

(٢) في البقيع بالمدينة المنوّرة قبور أربعة من أئمّة الشيعة الإمامية هم: ١ ـ الإمام الثاني الحسن بن عليّ بن أبي طالب ٢ ـ الإمام الرابع زين العابدين عليّ بن الحسين الشهيد ٣ ـ الإمام الخامس محمد الباقر بن زين العابدين ٤ ـ الإمام السادس جعفر الصادق. هذا عدا قبر فاطمة الزهراء بنت النبيّ صلى الله عليه وآله وقبور بعض أعمام النبيّ وأزواجه وأولاده.
وقد كانت على قبور الأئمّة قبّة عالية وبناء ضخم، وعلى بقيّة القبور الطاهرة قباب شاهقة، ولمّا دخل ابن السعود مكّة أوّل عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م، وكان على المذهب الوهّابي الذي يحرّم تشييد القبور ويستنكر احترام الموتى مهما كان قدرهم في الحياة، هدم في الثامن من شوّال من السنة المذكورة قباب الأئمّة وأضرحتهم وسائر القباب والقبور وجعلها قاعاً صفصفاً، وذلك بعد استفتاء تقدّم به إلى شيوخ الضلال والغواية، وكان عازماً على هدم قبر النبيّ صلى الله عليه وآله بعد هدم قبور آله، ولكن ارتفعت أصوات الاستنكار وتعالت الضجّة في البلاد الإسلامية فاكتفوا بما ارتكبوه من آثام. وصار ذلك اليوم عند الشيعة يوم حزن تقام فيه المجالس في النجف وغيرها ذكرى لتلك المأساة. وقد نشر صور تلك القباب علي أكبر تشيد (هديهٔ إسماعيل يا قيام سادات علوي براي بدست آوردن خلافت، ص ٢٤٣ و٢٤٤)، كما نشر علي أكبر دهخدا (لغت نامهٔ، / حرف الحاء: حجّ، ٣١٠ ـ ٣٢٧) مجموعة من صور تلك الأماكن المقدّسة وفيها صورة لقباب البقيع التقطت قبل الهدم بسنة. تراجع: (كشف الارتياب في أتباع محمّد بن عبد الوهّاب، ٥٩ ـ ٦٢)، طبعة دمشق، عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م، و (تاريخ الشيعة، ص ١١٨) و (شعراء الغرى: ٨/ ٢١٤) و (مجلة المعارف، الع ٢، السنة: ١/ ٢٦).

(٣) ترجمة ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٥٤. وقال المدرّس (ريحانة الأدب: ١/ ٤٦): إنّه كان ابن ستّ وسبعين. وقال الخوانساري (روضات الجنات: ١/ ٢٣١) والنعمة (فلاسفة الشيعة، ص ١١٣): إنّه كان ابن تسعين.

(٤) ديوان الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٦٦ ـ ٦٨، و (لباب الألقاب في ألقاب الأطياب، ص ٥٥) مع تقديم وتأخير في الأبيات وتصحيف وتغيير في الكلمات.

السماوي[1] وشاعر آخر[2]، ونظم الشيخ عبد الحسين شكر النجفي أبياتاً[3] اتّهمه الشيخ علي كاشف الغطاء على أثرها بالشيخية[4]، ودافع عنه الشيخ علي الخاقاني[5] والشيخ آغا بزرك الطهراني[6].

وقد انتشر خبر وفاته في البلاد الإسلامية فأقيمت له مجالس الفاتحة في مختلف الأرجاء ولا سيّما في إيران، فكان له في كلّ مدينة دخلها أو سكنها ودرّس فيها مأتم، وأقام له الشيخ محمّد إبراهيم الكلباسي، من زعماء الدين في أصفهان، مجلس الفاتحة ثلاثة أيّام فحضره الخاصّ والعامّ[7].

وكان الإحسائي قد تزوّج ثماني نساء توفّي بعضهنّ في حياته وفارق البعض الآخر، ومجموع من ولد له منهنّ ذكوراً وإناثاً تسعة وعشرون ولداً مات أكثرهم أطفالاً ومراهقين، ووصل بعضهم إلى سنّ الرشد والكمال ثمّ توفّاه الله. وقد مات عن ثلاث زوجات. وكان له أربعة أولاد هم: ١ ـ الشيخ محمد تقي، وقد يسمّى الشيخ محمد ٢ ـ الشيخ علي نقي ٣ ـ الشيخ عبدالله ٤ ـ الشيخ حسن. وكان الأوّل أكبرهم وأفضلهم، وقد ترجم والده لنفسه بالتماسه، وقال عنه: «... وكان كبيرهم سنّاً وعلماً، هو الابن الأعزّ محمد تقي أعزّه الله وهداه وجعلني من المنية فداه... إلخ»[8]. وقد نسب له الإنكار على أبيه ومخالفته[9]، والظاهر أنّ ذلك مخالف للحقيقة وأنّه مجرّد اتّهام للولد وإشاعات مغرضة من خصوم الإحسائي يراد بها الحطّ من كرامة الوالد والنيل منه على لسان ولده لتكون أبلغ في الجرح.

---

(١) شرح حياة الأرواح، المقدّمة، د. و (ريحانة الأدب: ١/ ٤١)، و (ديوان الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٥٩ و٦٠).
(٢) مجالي اللطف بأرض الطف، ص ٧٦ و٧٧.
(٣) ريحانة الأدب: ١/ ٤١.
(٤) ديوان الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ١٦٠. و (ريحانة الأدب: ١/ ٤١).
(٥) الحصون المنيعة في طبقات الشيعة: ٩/ ٣١٧.
(٦) شعراء الغري: ٥/ ١٣٥.
(٧) طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ٧٠٦.
(٨) روضات الجنات: ١/ ١٣٢، و (شيخيگري بابيگري، ص ٨٧)، و (طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ٩١).
(٩) سيرة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٩.

وإلاّ فليس في كتابات الوالد والولد ما يدلّ على اختلاف الرأي وتباين الذوق، وإنّما كان الولد على سرّ أبيه موافقاً له في الرأي ومتابعاً في العمل والمعتقد. وإلاّ فمن غير الممكن ـ لو كان بينهما أدنى اختلاف ـ أن يثني عليه بالنحو الذي مرّ كأن يفديه بنفسه!!

ويستدلّ الشيخ علي الحائري على عدم صحّة تلك المزاعم بأنّ الولد قد توفّي على عهد أبيه وليس بعده لكي يقال بأنّ الولد قد خالف آراء أبيه بعد وفاته، وبعد أن استوعب مؤلّفاته وهضم أفكاره جيّداً وتبيّن له موضع الخطأ فيها[1]. ويؤيّده أنّ ما نسب للشيخ الإحسائي من مخالفات وشذوذ وتكفير إنّما تفاقم وكثر معارضوه بعد وفاته، وتجاوز الحدّ بعد أن تعصّب له أولاده وتلامذته والموافقون له في الرأي، وأنّ ما نسب إليه في حياته كان أقلّ من ذلك بكثير ولم يبلغ حدّاً يؤدّي بأولاده وخاصّته إلى إعلان مخالفته. وقد توفّي هذا النجل على عهد أبيه ولم نعرف تاريخ وفاته، وخلفه الثلاثة الآخرون.

أمّا الشيخ علي نقي فقد كان عالماً كبيراً ومؤلّفاً مكثراً وشاعراً مجيداً. يقال: إنّه كان يحفظ اثني عشر ألف حديث بأسانيدها[2]، وإنّ أباه قال: «عليّ أحفظ منّي»[3]. وقد بقي في كرمان شاه خلفاً لأبيه ومرجعاً لعدد كبير من أصحابه ومقلديه حتى توفّي صبح الأحد في الثالث والعشرين من ذي الحجّة سنة ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م بالطاعون ودفن في خارج البلد في الطريق الذي يمرّ به الذاهب إلى كربلاء بوصيّة منه لأنّه كان ممّن لا يجوّز نقل الموتى[4]، ونسب له فردهاد ميرزا قوله: «إنّ أبي ضيّعه تلامذته»[5]، والظاهر أنّه من قبيل ما نسب إلى أخيه

---

(١) روضات الجنّات: ١/ ٢٢٤، و (طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ٢٥٤، القسم المخطوط)، و (أعيان الشيعة: ٨/ ٤٠٦)، و(فلاسفة الشيعة، ص ١١٣)، و (ريحانة الأدب: ١/ ٤٠)، و (أحسن الوديعة، ص ٣٠٧).

(٢) رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٨٧.

(٣) صحيفة الأبرار، ص ٤٥٦.

(٤) رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٨٠.

(٥) مسألة نقل الموتى إلى الأماكن المقدّسة التي يرجى لهم فيها الشفاعة ونحوها من المسائل الخلافية بين فقهاء الشيعة الإمامية، وللسيّد هبة الدين الشهرستاني رسالة قيّمة إصلاحية في هذا الموضوع =

الشيخ محمد تقي من أقوال. وقد نسب له الشيخ علي الحائري الصلاة على أبيه[1]، وهو سهو حتماً لأنّه كان في كرمان شاه من بلاد إيران عندما توفّي أبوه في المدينة، كما صرّح به مترجموه، وقد مرّت الإشارة إلى ذلك. له ذكر وتراجم في مصادر عديدة[2]، وللشيخ علي الحائري رسالة خاصّة في ترجمته[3]، وقد طبع بعض آثاره[4].

وأمّا الشيخ عبدالله الأحسائي، فقد كان من أهل العلم والفضل أيضاً؛ من آثاره رسالة في ترجمة أبيه وشرح أحواله منذ ولادته حتى وفاته. وقد ترجمها إلى الفارسيّة الحاجّ محمد طاهر بن الحاجّ محمد كريم خان الكرماني[5] بأمر والده[6]، وطبعت الترجمة في بمبي عام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م[7]، ولم يكن مع أبيه

= (تحريم نقل الجنائز المتغيّرة، بغداد، ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م، وللدكتور علي الوردي حديث طريف حول الموضوع (لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: ٢/ ٢٥٩ ـ ٢٦١)، لكن قصّة أكل لحم الميّت التي نقلها عن ص ١٦ من رسالة الشهرستاني خيالية لا وجود لها في ذلك الكتاب. وللشيخ عبد الواحد المظفّر حديث طويل حول الموضوع (توضيح الغامض من أسرار السنن والفرائض، ص ٢٠٨، ٢٢٠ ـ ٢٥١).

(١) هداية السبيل وكفاية الدليل، ص ١٢٨.

(٢) رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٨٢.

(٣) (صحيفة الأبرار، ٤٥٦)، و (شرح قصيدة العمري، ص ٢٨٣)، و (طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ١٩٤، القسم المخطوط)، وغيرها.

(٤) نشرت هذه الرسالة للمرّة الأولى مستقلّة في ٦٩ صفحة في النجف بدون تاريخ، وفي السنة ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م أعيد طبعها في مقدّمة «نهج المحجّة» في مطبعة العدل الإسلامي في النجف في ٧١ صفحة. وأعيد طبعها ثالثة عام ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م في مطبعة أهل البيت في كربلاء، ملحقة بـ «عقيدة الشيعة» للحائري، وعلى ظهرها أنّها: الطبعة الثانية، وصحيحه: الثالثة.

(٥) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٤/ ٨٩، ١٥١.

(٦) شيخيگري بابيگري، ص ١٣.

(٧) سها مرتضى الچهاردهي وارتبك عند ذكر عام طبع هذه الرسالة، فقال في موضع أنّه: عام ١٣٠٨، وفي موضعين أنّه: عام ١٣٠٩ (شيخيگري بابيگري، ص ١١، ١٣، ٥٠) وكلاهما خطأ. وقد ذكر التاريخ الصحيح في الصفحة ٦٧ من الرسالة نفسها وهو التاسع عشر من شعبان ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م. وما في الصفحة ٩٦ ـ وهي آخر الكتاب ـ فهو تاريخ الإجازة؛ وهو ١٢٠٩ لا ١٣٠٩. وسها كذلك رياض طاهر فقال: إنّها طبعت عام ١٣١٥ (فهرست تصانيف العلّامة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٦).

في سفره الذي توفّي فيه، كما قاله الشيخ آغا بزرك الطهراني[١]، بل كان أخوه الشيخ حسن كما ذكر المترجم له[٢]. ترجم له الطهراني وذكر أنّ بعض كتب أبيه قد انتقل إليه بعد وفاته، ومنه: «حاشية العميدي» الذي تملّكه عام ١٢٤٤هـ/ ١٨٢٨م وقد رآه في «مكتبة الشيخ هادي كاشف الغطاء» في النجف، ومنه استظهر حياته إلى التاريخ[٣]. وتوجد نسخة من «شرح العرشية» لأبيه كتبها السيّد علي بن السيّد أحمد الحسيني عام ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م، وعليها خاتم ولده هذا ممّا يدلّ على حياته في التاريخ ووفاته بعده، والنسخة عند رياض طاهر[٤] والمترجم له ثالث أولاد الأحسائي وليس أرشدهم كما قاله معتمد الإسلام الكندجاني[٥].

وأمّا الشيخ حسن فهو رابع الأخوة، وقد صحب والده في العديد من أسفاره، ومنها الأخير الذي توفّي فيه كما مرّت الإشارة إليه. ونحن لا نعرف شيئاً عن مقدار فضله ومعرفته. ولدينا بخطّه رسالة مختصرة كتبها إلى بعضهم ولم يسمّه، وفيها غلطة نحوية، وقد أوصى فيها بالأخوين السيّد أحمد والسيّد كاظم خيراً، وطلب مساعدتهما بتدبير أجرة الطريق لهما لعزمهما على الحجّ، وتاريخها ٢١ عاشوراء عام ١٢٢٩هـ/ ١٨١٣م.

والظاهر أنّ الولد الأخير غير معروف حتى عند بعض الشيخية. فقد اقتصر الشيخ علي الحائري على ذكر الثلاثة الأوائل وأغفل ذكر الأخير[٦]. بينما ذكرهم الطهراني جميعاً[٧]. والظاهر أيضاً أنّ ذرّية هؤلاء الأربعة قد انقرضت بالتدريج لأنّهم لم يعقّبوا لا ذكراً ولا أنثى كما قاله الشيخ علي الحائري[٨]، فقد ذكر الشيخ

(١) طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ٧٦٩.
(٢) ترجمة ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٥٣.
(٣) طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ٧٦٨ و٧٦٩.
(٤) فهرست تصانيف العلّامة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ١١.
(٥) كلمة أزهزار، ص ٢١.
(٦) رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٨٧.
(٧) طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ٩١.
(٨) رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٨٧.

آغا بزرك الطهراني أنّه رأى تملك الشيخ يوسف بن الشيخ حسن بن الشيخ أحمد الأحسائي[1]. وكتب نظام العلماء التبريزي على ظهر المجلّد الثاني من «كشكول الشيخ علي نقي الأحسائي» ما نصّه: «هذا المجلّد الثاني من كشكول الشيخ علي نقي الشهير بالشيخ علي بن الشيخ أحمد الأحسائي صاحب «شرح الزيارة الجامعة الكبيرة» انتقل إلى ابنته بالإرث. وهي وهبت هذه المجموعة مع مجلّد آخر لولدي العزيز الشيخ علي الشهير بجناب سلّمه الله، وهذين المجلّدين ـ كذا ـ أمانة شرعية عندي. وكتب بيمناه الجانية الفانية محمود بن محمد التبريزي الشهير بنظام العلماء ـ عفي عنه وعن والديه ـ في شهر جمادى الثانية سنة ١٢٧١هـ»[2]. ممّا يدلّ على أنّ الشيخ علي قد أعقب أيضاً. وقال الشيخ أبو القاسم الإبراهيمي ما ترجمته: «ولا يوجد من أولاده وأحفاده ـ الأحسائي ـ اليوم أحد معروف. وفي إحدى زياراتي لمشهد الرضا عليه السلام في خراسان قبل نحو عشرين سنة، كان قد تشرّف بزيارة المرقد عدد كبير من العرب فيهم اثنان من أهل البحرين لا أذكر اسميهما ولم يكونا من أهل العلم. وقد قالا: إنّهما من أسباط الشيخ الأحسائي»[3].

(١) طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ٩٢.
(٢) ديوان الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٤٨.
(٣) فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ١/ ٢١٧.

الفصل الثاني: حياته العلمية

١ ـ أساتذته

أشرنا في فصل نشأته إلى أنّه لم يذكر في الرسالة التي ألّفها في ترجمة أحواله[١] أحداً من أساتذته الذين أخذ عنهم غير الشيخ محمد بن الشيخ محسن. كما لم يذكر ولده الشيخ عبدالله في الرسالة التي خصّها بحياة أبيه شيئاً من ذلك. نعم ذكر بعض من حضر عليه الدروس العالية في النجف وكربلاء، وسمّى اثنين منهم فقط، هما:

١ ـ الشيخ محمّد باقر البهبهاني الشهير بالوحيد.

٢ ـ السيّد محمّد مهدي بحر العلوم.

وصرّح بأنّ السيّد الطباطبائي صاحب «الرياض» والشيخ جعفر النجفي صاحب «كشف الغطاء» لم تكن لهما يومئذ شهرة كبيرة، ولم يكونا في عداد البارزين من علماء عصره ومدرّسيه[٢]، وقد اشتهر البهبهاني وبحر العلوم بتدريس الفقه وأصوله. أمّا الفلسفة فلم يذكر أحد من مترجمي الأحسائي أستاذاً له فيها رغم براعته وكثرة تآليفه في هذا المجال. بل كتب فيها ودرّس على نحو خاصّ قال إنّه استفاده من حكم أهل البيت عليهم السلام واستمدّه من القرآن[٣]. وقد نهج في ذلك نهج الإشراقيين.

ويقول الشيخ أبو القاسم الإبراهيمي إنّه سمع من أبيه ما مضمونه: إنّ الشيخ الأحسائي لقي في البصرة شخصاً كاملاً فسأله عن كيفية الوصول فقال له: «إلق

---

(١) سيرة الشيخ أحمد الأحسائي/ مطبعة المعارف بغداد/ ١٣٧٦ ـ ١٩٥٧.
(٢) ترجمة ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي / بمبي/ ١٣١٠ ـ ١٨٩٢.
(٣) شيخيگري بابيگري / ١٩٧.

بنفسك وتعال»[1]. ونقل صاحب «تنبيه الغافلين» أنّه رأى بخطّ حجّة الإسلام التبريزي ما نصّه: «ورأيت بخطّ العالم العامل والفاضل الكامل حجّة الإسلام الميرزا إسماعيل آغا التبريزي ـ سلّمه الله ـ ما هذا لفظه: عن الشيخ الأوحد الأمجد الشيخ أحمد الأحسائي ـ أعلى الله مقامه ورفع في الخلد أعلامه ـ أنّه لقي في البصرة رجلاً من أهل الكمال وكان حاكماً في البصرة، فالتمس الشيخ ـ رحمه الله ـ منه التدريس في الحكمة فامتنع من ذلك واعتذر باشتغاله بأمر الحكومة. فالتمس الشيخ ـ رحمه الله ـ منه بعد ذلك أن يمنحه بكلمات كلّيات من الحكمة تكون وصلة إلى المطالب الحكمية على سبيل الإجمال فقال: «لا تنظر إلى الحركات انظر إلى المحرّكات، لا تنظر إلى الأسباب انظر إلى المسبّبات، إنّ الحيوانات تسير إلى الله في سلسلة الطول والجمادات تسير إلى الله في سلسلة العرض، وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب». قال الشيخ الأوحد ـ رحمه الله ـ: «فانحلّ بسماع تلك الكلمات من ذلك الرجل الكامل أكثر المشاكل التي كانت في بالي في المطالب الحكمية وانفتح لي أبواب من العلوم فسألته أن يرشدني إلى طريق السلوك إلى الله فقلت: كيف الوصول إلى الحق؟ فقال: إلق الدنيا. فخرجت من مجلسه ولم يبقَ في قلبي شيء من محبّة الدنيا. حرّره إسماعيل بن محمّد عفي عنهما»[2].

٢ ـ مشايخه في الإجازة

وقد أجاز الأحسائي عدد من كباء علماء الشيعة في عصره إجازات مفصّلة، وقد ذكرت الكتب التي عنيت بذكره ستّة من أولئك، وهم:

---

(١) فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ١/ ١٤٦.

(٢) فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي: ١/ ١٨٣ ـ ١٨٤.

ويلاحظ أن الكلمات التي ألقاها حاكم البصرة على الأحسائي أشبه بسجع الكهان وأحاديث سطيح في الجاهلية، ومعاني بعض هذه الكلمات معروفة ومتداولة بين أصحاب الكلام فما الجديد فيها حتى تكون الأساس الذي بنى عليه الأحسائي دراسته الكلامية فيما رآه الإبراهيمي.

١ ـ الشيخ أحمد الدمستاني[١]. تأريخ إجازته عام ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م[٢].

٢ ـ الشيخ جعفر كاشف الغطاء[٣]. تأريخ إجازته عام ١٢٠٩هـ/ ١٧٩٤م[٤].

٣ ـ الشيخ حسين العصفوري[٥]. تأريخ إجازته عام ١٢١٤هـ/ ١٧٩٩م[٦].

٤ ـ السيّد علي الطباطبائي[٧]. إجازته بدون تأريخ[٨].

٥ ـ السيّد مهدي بحر العلوم[٩]. تأريخ إجازته ١٢٠٩هـ/ ١٧٩٤م[١٠].

---

(١) من علماء عصره وأدبائه، يبدو أنه كان من النابهين وفي صفّ من يستجاز في المسائل العلمية لكن التاريخ ظلمه كألوف غيره لا سيّما من أبناء منطقته وطائفته، وقد أوشك أن يعدّ في المنسيين، كان والده من صدور العلماء وكبارهم له آثار قيمة (الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٢/ ٣٥٨ و٤٧٤) وله ذكر في المعاجم لكن ولده هذا قد أغفل ولم أجد من عقد له ترجمة خاصة به سوى الشيخ أغا بزرك الطهراني (طبقات أعلام الشيعة ٢/ ٨٠ و٨١) وهي فقيرة جداً وبدون تاريخ ولادة أو وفاة. له ديوان شعر ألحقه بديوان أبيه (الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٩/ ٣٢٩) و (أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين، ص ٢١٨) وفي الأخير أنه أجاز الشيخ عبد المحسن اللويمي أيضاً، وقد تألم المؤلف لاندثار ذكره.

(٢) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١/ ١٤١.

(٣) مرّت ترجمته في مكان آخر.

(٤) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١/ ١٦٥.

(٥) كان زعيم الفرقة الأخبارية وشيخ علمائها المقدّم في عصره وبعده، وهو من النوابغ في العلوم الإسلامية لا سيما الفقه وأصوله والحديث وغيرها، وهو أحد المجازين من عمه الشيخ يوسف البحراني صاحب «الحدائق» بالإجازة الكبيرة المشهورة «لؤلؤة البحرين في الإجازة لقرتي العين» والثاني ابن عمه الشيخ خلف بن عبد علي. وهو من أجل ذلك سند من الأسناد الثابتة في معنعنات الرواية، ومؤلفاته بالعشرات وفيها ما هو عدة مجلدات كـ «الرواشح» الربانية» في خمس مجلدات، و «الأنوار اللوامع» في ١٤ مجلداً. وتوفي ليلة الأحد ٢١ شوال عام ١٢١٦هـ/ ١٨٠٢م، بضربة حربة من بعض أعداء الدين في بعض الحوادث الواقعة في البحرين. تراجع (أنوار البدرين، ص ٢٠٧ ـ ٢١١) و (شهداء الفضيلة، ص ٣٠٧ ـ ٣١٢) و (طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ٤٢٧ ـ ٤٢٩) و (فارس نامه ناصري: ٢/ ٢٣٦) و (مكارم الآثار: ٢/ ٥٧٠ ـ ٥٧٣) و (أعيان الشيعة: ٢٧/ ١٢٨ ـ ١٣٦) و (معجم المؤلفين: ٣/ ٤٤) و (الاعلام: ٢/ ٢٨٢).

(٦) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١/ ١٨٨.

(٧) تقدّم له ذكر في غير هذا المكان.

(٨) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١/ ٢١٩.

(٩) تقدمت له ترجمة في موضع آخر.

(١٠) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١/ ٢٥٥.

٦ ـ السيّد مهدي الشهرستاني[١]. تأريخ إجازته عام ١٢٠٩هـ/ ١٧٩٤م[٢].

وقد ذكر الشيخ حسين النوري مشايخه والراوين عنه في مشجره المعروف[٣]، كما نشرت الإجازات بنصّها في آخر الرسالة التي ألّفها ولده في ترجمة أحوال أبيه[٤]، وقد نشرتها «مكتبة العلاّمة الحائري العامّة في كربلاء» في سلسلة مطبوعاتها في كرّاس خاصّ، وشرحها وعلّق عليها الدكتور حسين علي محفوظ أستاذ علوم الحديث والرجال في كلّية أصول الدين ببغداد تعاليق نافعة[٥]. وقد أضاف إلى مشايخه اثنين هما: الشيخ أحمد آل عصفور، والشيخ محمّد ابن الشيخ حسين القطيفي.

٣ ـ تلامذته

تصدّر الأحسائي للتدريس في المعقول والمنقول سنين طوالاً. وكانت له حوزات عامرة في كلٍّ من كربلاء والنجف والبصرة وغيرها من المدن العراقية، وفي قزوين ويزد وطهران وأصفهان وكرمان شاه وغيرها من المدن الإيرانية، وفي الأحساء والبحرين وغيرهما من مدن الخليج. وقد تخرّج عليه المئات من العلماء وأهل الفضل، وبلغت به الحال حدّاً كان إذا هبط مدينة علمية تعطّلت فيها الدروس والأبحاث وهرع حضّارها إلى مجلس درسه ليستفيدوا منه[٦]. غير أنّ النقمة التي صبّت عليه وعلى أتباعه، والشبهات التي ظلّت تلاحق المنتمين إليه والمنتسبين إلى مدرسته أدّت إلى البراءة منه وإنكار التلمذة عليه، بل الصلة به

---

(١) عالم كبير من فقهاء كربلاء وزعمائها الدينيين في عصره، كانت له مكانة كبيرة وقدسيّة لورعه وزهده، توفي عام ١٢١٦هـ/ ١٨٠٢م، وبيت الشهرستاني من الأسر العلمية الكربلائية التي أنجبت الكثير من الاعلام تراجع (ريحانة الأدب: ٣/ ٣٦٣ و٣٦٤) و (الكنى والألقاب: ٢/ ٣٤٤ و٣٤٥) و (مستدرك الوسائل: ٣/ ٣٩٦) و (هدية الأحباب، ص ١٦٥).

(٢) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١/ ٥٣.

(٣) مواقع النجوم ومرسلة الدر المنظوم. مشجّر في الحديث طبعته جامعة طهران.

(٤) ترجمة ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٦٧ ـ ٩٦.

(٥) إجازات الشيخ أحمد الأحسائي، مطبعة الآداب: النجف، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م.

(٦) كلمة أزهزار، ص ١٦.

ولقائه طلباً للسلامة. ولذلك فإنّنا إذا استعرضنا كتب التراجم وسبرنا الدراسات التي كتبت عنه وعن أتباعه تأييداً أو تفنيداً، فإنّنا لا نجد سوى أسماء معدودة لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة، وبالرغم من مواصلة الاستقراء ودوام البحث تمكّنا من معرفة هؤلاء الأعلام الذين تخرّجوا من مدرسته:

١ ـ إبراهيم بن عبد الجليل صاحب «تحفة الملوك في سرّ السلوك»[١]. ٢ ـ السيِّد أحمد التبريزي المعروف بحوش نويس[٢]. ٣ ـ السيِّد أبو الحسن بن محمّد حسين التنكابني خال صاحب «قصص العلماء»[٣]. ٤ ـ السيِّد أبو القاسم ابن محمّد حسين التنكابني خال صاحب «القصص» أيضاً[٤]. ٥ ـ المولى آغا القزويني الحكيم[٥]. ٦ ـ الشيخ حسن كوهر[٦]. ٧ ـ الشيخ حسين الكرماني[٧]. ٨ ـ الشيخ زين العابدين الخوانساري[٨]. ٩ ـ السيِّد ميرزا سليمان المدّرس اليزدي[٩]. ١٠ ـ الشيخ شفيع التبريزي[١٠]. ١١ ـ صاحب «كتاب الغيبة والرجعة»[١١]. ١٢ ـ الشيخ عبد الخالق اليزدي[١٢]. ١٣ ـ الميرزا عبد الرحيم القره باغي[١٣]. ١٤ ـ الشيخ عبدالله بن إبراهيم آل عيثان[١٤]. ١٥ ـ الشيخ عبد

---

(١) لغت نامة دهخدا/ حرف الألف/ ١٤٠٠.
(٢) رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٩٥.
(٣) قصص العلماء، ص ٢٦.
(٤) قصص العلماء، ص ٢١.
(٥) شيخيگري بابيگري، ص ١٤، و (قصص العلماء، ص ٢٠ و٢١).
(٦) طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ٣٤١ و (رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٩٥) و (مقدمة شرح حياة الأرواح / ج).
(٧) طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ٤٣١.
(٨) رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٩٦.
(٩) شيخيگري بابيگري، ص ٨١.
(١٠) شيخيگري بابيگري، ص ٢٥.
(١١) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١٦/ ٨٣.
(١٢) المآثر والآثار، ص ١٧٥، و(مطلع الشمس، ص٣٩٩) و(رسالة ترجمة الشيخ علي الأحسائي، ص ٩٥).
(١٣) رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٩٥.
(١٤) طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ٧٦٦.

الوهّاب القزويني[1]. ١٦ ـ الشيخ علي الأوردبادي[2]. ١٧ ـ الشيخ علي البرغاني[3]. ١٨ ـ الشيخ علي السمناني[4]. ١٩ ـ السيّد كاظم الرشتي[5]. ٢٠ ـ المولى محمّد حمزة شريعة مدار[6]. ٢١ ـ السيّد محمّد الخراساني[7]. ٢٢ ـ الشيخ محمّد شريعة مدار الاسترابادي الكبير[8]. ٢٣ ـ الشيخ محمّد الريحاني الأزهري[9]. ٢٤ ـ الشيخ محمّد[10]. . . ؟ ٢٥ ـ الشيخ محمد الگنجوى[11]. ٢٦ ـ الشيخ محمّد المامقاني[12]. ٢٧ ـ السيّد محمّد بن الحسن الحسيني. كتب بأمر أستاذه الأحسائي مجموعة فيها خمس وسبعون رسالة من رسائله وفرغ منها سنة ١٢٣٩هـ/١٨٢٣م[13]، كانت في «مكتبة السيّد خليفة الأحسائي» في النجف[14]. ٢٨ ـ المولى محمود نظام العلماء التبريزي[15]. ٢٩ ـ المولى مرتضى علم الهدى[16]. ٣٠ ـ الشيخ مهدي بن محمّد[17].

---

(١) شيخيگري بابيگري، ص ١٧.
(٢) رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٩٥.
(٣) شيخيگري بابيگري، ص ١٧.
(٤) رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٩٥. وقدسها رياض طاهر فسماه «محمد حسين» (فهرست تصانيف العلامة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ١٢).
(٥) روضات الجنات: ١/ ٢٢٥، ط٢. و (أعيان الشيعة: ٨/ ٣٩٤) وغيرهما.
(٦) شيخيگري بابيگري، ص ٣٤.
(٧) إحقاق الحق، ص ١٧٤.
(٨) سيماي بزركان، ص ١٥٤.
(٩) رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٩٥.
(١٠) لم يذكر له معتمد الإسلام الكندجاني لقباً لكنه روى له حادثة غريبة (كلمة أزهزار، ص ٦٩).
(١١) رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٩٦.
(١٢) رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٩٥.
(١٣) طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ٢٥٦. القسم المخطوط.
(١٤) مكتبة قيّمة كانت تحوي عدداً من المخطوطات النفيسة، بيعت في سوق هرج الكتب في شهر صفر عام ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م، بدراهم معدودة. وكانت خسارة الباحثين وأهل الفن بها كبيرة.
(١٥) رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٩٥.
(١٦) شيخيگري بابيگري، ص ٢٠٣.
(١٧) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١٥/ ٣١٥.

وقد سها السيِّد محسن الأمين فعدّ السيِّد علي محمّد الشيرازي مؤسّس «البابية» من تلامذة الأحسائي[١]. ونقله عنه الدكتور حسين علي محفوظ[٢]. وردّ ذلك الشيخ علي الحائري[٣]. كما سها محمّد حسن خان المراغي فعدّ كريم خان القاجاري من تلامذة الأحسائي[٤]. ونقله عنه السيّد مهدي الأصفهاني[٥]. وسها الشيخ محمّد علي الكشميري فعدّ السيّد محسن الأعرجي من الراوين عن الأحسائي[٦]. والقصّة معكوسة[٧].

٤ ـ المجازون منه

وقد روى بالإجازة عن الأحسائي عدد من كبار علماء عصره ومشاهيره ذكرهم الشيخ حسين النوري[٨]، كما تصدّى لذكرهم معظم من كتب عن الأحسائي، ومنهم في هذه الأواخر الدكتور حسين علي محفوظ[٩] ورياض طاهر[١٠]، وإليك بعضهم:

---

(١) أعيان الشيعة: ٨/ ٤٠١.

(٢) تاريخ الشيعة، ص ٦٧.

(٣) رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٩١ ـ ٩٧.

(٤) المآثر والآثار، ص ١٤٧. وقد كتب الشيخ أغا بزرك الطهراني على نسخته الخاصة من هذا الكتاب الموجودة في «مكتبة صاحب الذريعة العامة في النجف» بخطه ما يلي: «... إن العلامة محمد خان القزويني ذكر في مكاتبته إلى السيد محمد علي كلزير المسطورة في ص ٥ من مقدمة فهرس رجال التدوين... إن المؤلف الحقيقي للمآثر والآثار هو شمس العلماء الشيخ محمد مهدي... القزويني لكنه جعله باسم اعتماد السلطنة وزير الانطباعات للمصالح الشخصية. ومن جلالة شأن شمس العلماء في معرفة التاريخ والرجال وأحوال العلماء يحصل الاطمئنان التام بمطابقة مطالب الكتاب الراجعة إلى علماء عصر السلطان ناصر الدين شاه للواقع...». ويظهر أن القزويني قد كتب للطهراني بذلك فقد قال: «إن مؤلفه الحقيقي هو العلامة الشيخ محمد علي العبد الرب آبادي العضو الأعظم لتأليف «نامة دانشوران» وهو المتبحر في التاريخ والرجال وقد صرّح بذلك العلامة محمد خان القزويني في بعض مكتوباته الذي أرسل إلينا». (الذريعة: ١٩/ ٨).

(٥) أحسن الوديعة في تراجم علماء الشيعة / ٣٠٩، ط٢.

(٦) نجوم السماء في تراجم العلماء، ص ٣٦٢.

(٧) طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ٩١.

(٨) مواقع النجوم ومرسلة الدرّ المنظوم. مشجر طبعته جامعة طهران بإشارة الشيخ خليل الله الكمرئي.

(٩) إجازة الشيخ أحمد الأحسائي للشيخ أسد الله الكاظمي، ص ٦.

(١٠) فهرست تصانيف العلامة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٥.

١ ـ الشيخ أسد الله التستري الكاظمي صاحب «المقابس»، المتوفّى عام ١٢٣٤هـ/ ١٨١٨م[١]. ٢ ـ الشيخ حسن جوهر، المتوفّى عام ١٢٦٦هـ/ ١٨٤٩م[٢]. ٣ ـ الشيخ علي نقي بن أحمد الأحسائي (ولده)، المتوفّى عام ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م[٣]. ٤ ـ المولى علي البرغاني[٤]. ٥ ـ السيّد عبدالله شبّر، المتوفّى عام ١٢٤١هـ / ١٨٢٥م[٥]. ٦ ـ الشيخ عبد الوهّاب بن محمّد علي القزويني، المتوفّى بعد عام ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م[٦]. ٧ ـ السيّد كاظم الرشتي، المتوفّى عام ١٢٥٩هـ/ ١٨٤٣م[٧]. ٨ ـ الشيخ محمّد حجّة الإسلام المامقاني، المتوفّى عام ١٢٦٩هـ/ ١٨٥٢م[٨]. ٩ ـ الشيخ محمّد إبراهيم الكلباسي صاحب «الإشارات»، المتوفّى عام ١٢٦١هـ / ١٨٤٥م[٩]. ١٠ ـ الشيخ محمّد تقي بن أحمد الأحسائي (ولده الآخر)[١٠]. ١١ ـ الشيخ محمّد حسن النجفي صاحب «الجواهر»، المتوفّى عام ١٢٦٦هـ / ١٨٤٩م[١١]. ١٢ ـ الشيخ مرتضى الأنصاري، المتوفّى عام ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م[١٢].

وتلامذة الأحسائي، سواء الذين قرأوا عليه أو الذين أجيزوا منه في رواية الحديث، ليسوا من الشيخية جميعاً، فقد حضر الكثيرون درسه في الفقه مثلاً، وليس للأحسائي في الأحكام الشرعية والمسائل الفقهية ما خالف فيه النصوص أو

---

(١) أعيان الشيعة: ٨/ ٤٠١، و (طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ٩١).
(٢) إجازات الشيخ حسن جوهر، ص ٧.
(٣) طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ٩١.
(٤) إجازة الشيخ أحمد الأحسائي للشيخ أسد الله الكاظمي، ص ٦.
(٥) فهرست تصانيف العلامة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٥.
(٦) إجازة الشيخ أحمد الأحسائي للشيخ أسد الله الكاظمي، ص ٦.
(٧) مكارم الآثار در أحوال رجال دورة قاجار: ٢/ ٢١٧.
(٨) إجازة الشيخ أحمد الأحسائي للشيخ أسد الله الكاظمي، ص ٦.
(٩) روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات: ١/ ٢٢٤، ط٢.
(١٠) أعيان الشيعة: ٨/ ٤٠١، و (طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ٩١).
(١١) صحيفة الأبرار، ص ٤٨٦.
(١٢) رسالة ترجمة الشيخ علي نقي الأحسائي، ص ٩٧.

خرق فيه الإجماع، فهو كبقية فقهاء الإمامية، ما عدا بعض المسائل والفروع التي حاول إخضاعها للتأويل وتفسيرها بغير المألوف، ولذلك فلا يصحّ اعتبار كلّ من أخذ عنه شيخاً، لا سيّما ونحن نرى في المجازين منه عدداً من شيوخ الإمامية وأعلام الطائفة كالشيخ محمّد حسن النجفي صاحب «جواهر الكلام»، والشيخ مرتضى الأنصاري صاحب «فرائد الأصول»، والشيخ محمّد إبراهيم الكلباسي صاحب «إشارات الأصول»، والسيّد عبدالله شبّر صاحب «الحقّ اليقين»، وغيرهم من ذوي المقامات الرفيعة ومكانتهم أسمى من أن ينالها قدح، ومنذ أكثر من قرن وعلماء الشيعة الإمامية مجمعون على تقديسهم، وعلى آثارهم ومؤلّفاتهم تدور رحى التدريس وتستند الحوزات العلمية ويعتمد رجال الفتوى في كلّ نقطة شيعية.

بل إنّنا نرى أنّ بعض من حضر عليه في الفلسفة وأخذ عنه الحكمة الإلٰهية لا يمكن اعتباره شيخياً أيضاً، فقد قرأ عليه كثيرون في بداية تصدّره للتدريس ولم يكن لينسب له يومذاك شيء من الآراء الشاذّة والمخالفة، وإنّما أخذ عليه ذلك في سنينه الأخيرة وبعد أن ألّف بعض الكتب واستعمل مصطلحات خاصّة وعبارات تحتمل التأويل وتخضع لأكثر من تفسير، وربّما كان فيهم من يخالفه الرأي أو الخصم الذي حضر عليه ليدينه بما يسمعه من فمه، فمجرّد الحضور عليه والأخذ عنه لا يخوّل الحكم على الحضور بالشيخية والتبعية في الرأي.

وحتى الذين كانوا يوافقونه في الرأي لا يمكن إطلاق كلمة «الشيخية» ـ عليهم كافّة، بالمعنى المفهوم منها اليوم ـ فلم يكن الأحسائي يرى كلّ ما ينسب إلى الشيخية في عصرنا من أقوال، كما لم يكن يرى لآرائه صفة خاصّة، ولم يدر في خلده أنّه سيصبح مؤسّس طريقة ورئيس مدرسة تنفرد بأقوال وآراء ويكون لها أنصار وخصوم، بل توصّل، نتيجة تعمّقه وتوغّله، إلى آراء ونظريات بثّها في حلقات الدرس ودوّنها في مؤلّفات، كما يقول ويكتب الآخرون وكما يبدي الكثير من العلماء آراء لم يسبقوا إليها.

٥ ـ مؤلَّفاته

ومؤلَّفات الأحسائي كثيرة والحديث عنها طويل. فقد عاش سبعاً وسبعين سنة قضى معظمها في عزلة عن الناس معتكفاً في مكتبته يؤلّف الرسائل ويجيب عن مئات المسائل، ويردّ على مختلف الاعتراضات، ويصحّح بعض الأفكار الخاطئة والمفاهيم المغلوطة ـ في رأيه ـ في كتب من عاصره ومن سبقه من علماء المعقول والمنقول. وقد بارك الله في إنتاجه فخلّف ثروة فكرية ضخمة شغلت عشرات العلماء الفحول في حياته وبعد وفاته وإلى يومنا هذا ـ وستبقى كذلك إلى ما شاء الله ـ، فهم حولها في نقد وردّ وتأييد وتفنيد، وخلاف قائم وحجاج دائم، والحقيقة أنّه لو لم يكن في مؤلَّفاته فائدة غير ما كتب في نقده والدفاع عنه من كتب قيِّمة وأسفار مهمّة لكفاه فخراً وذخراً. فقد أغنت المكتبة الإسلامية بثروة هائلة وأمدّتها بمصادر عديدة أوضحت كثيراً من الجوانب الفكرية في الإسلام، ولا سيّما لدى الشيعة الإمامية.

لقد ألّف الأحسائي في كثير من العلوم المتداولة في عصره ومحيطه، فقد كتب في الأدب بفروعه من نحو وصرف وبلاغة ولغة ومنطق وعروض وغيرها، وفي الرياضيات من حساب وهندسة وهيئة وفلك، وفي الفقه وأصوله، والتفسير والحديث، والأخلاق والتاريخ، والحكمة الإلٰهية والفلسفة، والكلام والعقائد، والموسيقى والطبّ، والعلوم الغريبة كالرمل والجفر والكيمياء وغيرها، وقد طبع معظم آثاره وجعل وقفاً عامّاً، وانتشر في الشرق والغرب قبل أكثر من قرن. وذكر له تلميذه السيّد كاظم الرشتي (٩٣) كتاباً ورسالة[١]، وعدّ منها السيّد محمّد باقر الخوانساري (٣٨)، وقال: إنّها تبلغ مئة[٢]. وعدّ منها ولده الشيخ عبدالله (١٠١)[٣]، وأنهاها السيّد محسن الأمين إلى (١٠٢)[٤]، وأوصلها رياض طاهر

(١) دليل المتحيرين، ص ١١٨ ـ ١٣٢.
(٢) روضات الجنات: ١/ ٢٢٠ ـ ٢٢٣.
(٣) ترجمة ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٥٧ ـ ٦٧.
(٤) أعيان الشيعة: ٨/ ٤٠١ ـ ٤٠٦.

إلى (١٠٤)[١]. أمّا الشيخ أبو القاسم الإبراهيمي فقد أنهاها إلى (١٣١) اعتماداً على نسخ الأصل الموجودة في مكتبتهم والمطبوع من آثار الأحسائي، والفهارس الصحيحة الثابتة الموجودة عنده كالفهرست المختصر الذي كتبه السيّد كاظم الرشتي، والفهرست المفصّل الذي شرع فيه السيّد عبد المجيد الفائقي سنة ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م، ولم يمهله الأجل لإكماله، والفهرست المختصر الذي كتب بأمر عمّه الحاجّ محمّد خان الكرماني؛ وقد ضبط آثار الأحسائي بالنحو التالي: إنّها تشتمل على (١١٥) رسالة، و (خمس خطب) و (٣٥) فائدة، ومراسلة واحدة، ومجموع سطورها (١٦٥٩٤٧) في (٣١) مجلداً، (١١) منها مفقود[٢].

وحين تصدّيت لفهرستها وإحصائها بشكل دقيق، لم أعتمد على الفهارس المذكورة اعتماداً كلّياً ولم أنقل عنها على علاّتها لسببين:

الأوّل: احتمال اتّحاد بعض الأسماء مع بعض، فنحن نقرأ اسم كتاب له هكذا: «أجوبة بعض المسائل في الحكمة» واسم كتاب آخر هكذا: «جواب مسائل بعض العلماء في الحكمة» واسم ثالث هكذا: «الرسالة القطيفية في أجوبة مسائل في الحكمة قدّمها له الشيخ أحمد بن صالح القطيفي»، ولرّبما كانت هذه الأسماء الثلاثة لكتاب واحد في الحكمة وضع له كلّ مفهرس ومؤلف اسماً من عنده يحكي مضمونه إذ لم يجد له اسماً خاصّاً. وقد يكون له اسم خاصّ ذكره به المؤلّف في موضعه.

الثاني: الاختلاف والتضارب الموجودان في أقوال المترجمين في موضوعات بعض الكتب وتعيين مباحثها وعدد أسئلتها إذا كانت تحتوي على أجوبة مسائل؛ فواحد يقول: إنّه في الفلسفة، وآخر يقول: إنّه في مواضيع متفرّقة، ولنذكر على سبيل المثال «رسالة أجوبة الشيخ علي العريض»؛ فرياض طاهر يقول: إنّها (٨٣)[٣] والإبراهيمي يقول إنّها (٦٢) سؤالاً، إلاّ أنّ الأخير

(١) فهرست تصانيف العلامة الشيخ أحمد الأحسائي، طبع في النجف عام ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م ولم يذكر على ظهره عام الطبع ولا اسم المطبعة.
(٢) فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي وسائر مشايخ عظام: ٢/ ٨ ـ ٨٥ و٤٦٣.
(٣) فهرست تصانيف العلامة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٢٦.

يعدّها واحداً واحداً [1]. وبالنظر لما ذكرته من الأسباب وجدتني مجبراً على فحص الكتب نفسها للتأكّد من خصوصياتها ومحتوياتها ولا سيّما الرسائل وأجوبة المسائل وبعض الشروح. فقد جمع منها بعد وفاته بفترة اثنتان وتسعون كتاباً ورسالة طبعت على الحجر في مجلّدين كبيرين عام ١٢٧٣هـ/١٨٥٦م باسم «جوامع الكلم»؛ احتوى أوّلهما على أربعين كتاباً والثاني على اثنتين وخمسين [2]، وقد تصفّحت الجميع وخرجت بهذا الثبت وأنا مطمئنّ إلى صحّة الأرقام والمعلومات الموجودة فيه.

ولا يفوتني التنويه بالمجهود المضني والعمل العلمي الذي قام به الإبراهيمي بهذا الصدد، فقد قسمها حسب الموضوعات إلى تسعة أقسام وعقد لكلّ قسم فصلاً خاصّاً وصف فيه الكتب المؤلّفة فيه وصفاً دقيقاً ذكر فيه محتوياتها وعدد أسئلتها وسطورها وتواريخ الانتهاء منها، ونصّ على المخطوط والمطبوع والموجود والمفقود ومصادره في كلّ ذلك. واستغرق عمله ٨٤ صفحة، وقد استفدت من بحثه أكثر من غيره.

والملاحظ أنّ معظم مؤلّفات الأحسائي رسائل في أجوبة مسائل، وفي هذه الرسائل ما هو كتاب في المئات من الصفحات وما هو مختصر مقتضب، فقد كان يجيب حسب أهمّية السؤال ومقتضى الحال، والطابع العام لهذه الآثار ـ على كثرتها ـ هو الفلسفة والكلام والعقائد والفقه. ويندر فيها ما هو خارج عن دائرة هذه العلوم. وأهمّ المؤلّفات وأشهرها وأوعاها مادّة وأوضحها فكرة أربعة وهي:

١ ـ شرح الزيارة الجامعة الكبيرة.

٢ ـ شرح «العرشية» لصدر الدين الشيرازي.

٣ ـ شرح «المشاعر» للشيرازي أيضاً.

٤ ـ الفوائد.

---

(١) فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي وسائر مشايخ عظام: ٢/ ٦٠.

(٢) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٥/ ٢٥٣.

ففيها عرض شامل لآرائه وبيان وافٍ لمعتقداته، وهي دون غيرها ـ في الغالب ـ محطّ أنظار أتباعه وموضع سخط مخالفيه، وأكثر هذه الأربعة أهميّةً عند الأنصار ونقمةً عند المخالفين هو «شرح الزيارة»، فقد كثر حوله الصراع الفكري وتطرّف النزاع واختلفت الآراء وتعدّدت الردود والنقود، وسنتعرّض في الباب الثاني إلى بعض مباحثه.

الفصل الثالث: مكانته الاجتماعية

١ ـ شهرته وحسد المعاصرين له

تألّق نجم الأحسائي فتلقّته الأوساط العلمية بقبول حسن، وعرف بغزارة العلم وسموّ الفكر وعلوّ الثقافة وأشير إليه بالأنامل. وأجمع الكلّ على ورعه وتقواه وترسّله وزهده في الزعامة الدينية ومتع الحياة كافّة. وأخذ يتنقّل بين النجف وكربلاء والكاظمية فيقضي فيها مدداً طويلة، وكانت فيها ـ يومذاك ـ حوزات دراسية ضخمة وعلماء أفذاذ. وكانوا يتسابقون إلى زيارته ويبالغون في احترامه؛ ولذلك كثر الإقبال عليه وعظم في نفوس العامّة على اختلاف طبقاتهم، وأخذت رياسته بالتوسّع رغم إعراضه عنها، وأوشكت شهرته أن تغطي العلماء المعاصرين له، فلم يهن ذلك على بعضهم بل ضاقوا به ذرعاً وامتلأت صدورهم عليه حقداً وصمّموا على دكّه؛ غير أنّ المدّ الشعبي ومكانته الجماهيرية كانت ترهبهم، فلزموا جانب الصمت، إلاّ أنّهم بدأوا يعملون في الخفاء للإطاحة به[1]. وكان علماء كربلاء قد صمّموا على تكفير كلّ عالم يرأس ويتزعّم ويخافون تقدّمه. وقد كفّروا عدداً من العلماء لكنّهم لم ينجحوا ممّا اضطرهم إلى الخجل[2].

وسافر الأحسائي إلى إيران عدة سفرات، فدخل عواصمها العلمية ولاقى كبار رجالها، وكانت أصفهان يومئذٍ مركز علم كبير، وفيها سوق رائجة للفلسفة والحكمة الإلهية، وعدد كبير من مشاهير الفلاسفة؛ من أبرزهم: الشيخ علي النوري. وقد سئل: أيّهما أفضل الشيخ آغا محمّد البيدآبادي ـ من فلاسفة أصفهان ـ أو الأحسائي؟ فكان جوابه: «إنّ التمييز لا يكون إلاّ بعد بلوغ المميّز لمقامهما

(١) شيخيكري بابيكري، ص ٢٣.
(٢) كيوان نامة: ١/ ٤٧ ـ ١٣٧.

وأنا غير بالغ لمرتبتهما، فكيف يكون التمييز؟[1]. وحكى الشيخ هادي السبزواري صاحب «المنظومة» أنّه كان يقرأ مقدّمات العلوم النقلية في أصفهان يوم هبطها الأحسائي ـ ولم يكن يتّجه لدراسة العلوم العقلية بعد ـ فأذيع أنّ الحوزات العلمية والحلقات الدراسية كافّة قد تعطّلت وأنّ طلّابها عامّة سيحضرون درس الشيخ الأحسائي، فحضره مع من حضر ورأى كبار العلماء ومشاهير المدرّسين، كالشيخ محمّد إبراهيم الكلباسي صاحب «الإشارات» وغيره، تحت منبره. وكان يدرّس الفلسفة والحكمة الإلٰهية. وقد أجمع العلماء قاطبة على زهد الشيخ وتقواه[2]. وقد شذّ عنهم السيّد محمّد باقر الشفتي الملقّب بـ «حجّة الإسلام» الذي كان يقيم الحدّ الشرعي من قتل وقطع وجلد[3]؛ فهو الوحيد الذي لم يكن ليستقبل الأحسائي ويودّعه ويحترمه كما كان يفعل الآخرون، مع أنّه كان صديقاً حميماً للكلباسي الذي لم يدّخر وسعاً في تكريم الأحسائي[4]. ويقول الشيخ عبدالله ابن الأحسائي: إنّ والده عندما مرّ بأصفهان أصرّ عليه علماؤها وأعيانها بأن يصوم شهر رمضان عندهم ـ وكان هلاله قريباً ـ فاستجاب وحلّ ضيفاً على أمين الدولة عبدالله خان ابن صدر الدولة محمّد حسين خان، فبذل منتهى الجهد في خدمته، وكان «مسجد الحكيم» ـ وهو مصلّى الكلباسي الذي قدّمه له ـ يضيق بالمصلّين على سعته. وقد تصدّى نفر لإحصائهم بالتعاون فكانت عدتهم ذات يوم ستّة عشر ألفاً[5]، ويقول التنكابني: إنّ الأحسائي كان يأتي إلى المسجد قبل الظهر بساعة فيجلس على الباب ويضع إلى جنبه ساعته والبوصلة ـ آلة تعيين القبلة ـ ويظلّ بانتظار زوال الشمس، فإذا دخل الوقت بدأ بالنوافل من مكانه واتّجه إلى المحراب وأدّى عدّة ركعات وهو في الطريق[6].

---

(١) دليل المتحيرين، ص ٢٧.
(٢) شيخ أحمد أحسائي، ص ٣٢.
(٣) طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ١٩٤.
(٤) قصص العلماء، ص ٢٠.
(٥) ترجمة ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي، ص ٥١.
(٦) قصص العلماء، ص ٢١.

وهكذا كانت الحال بالنسبة له في كلّ مدينة دخلها في إيران. وقد دعم شخصيّته أكثر وفرضه على الناس فرضاً ـ وإن لم يكن بحاجة إليه ـ ما أبداه له السلطان فتح علي شاه القاجاري من تعظيم لم يشاركه فيه أحد من علماء إيران وفيهم الفطاحل وذوو البيوت العريقة في الزعامة الدينية. وقد كانوا جميعاً يسارعون إلى استقباله قبل غيرهم، وقبل أن ينتدبوا، ويأتمّون به في الصلاة، ويقدّمونه على أنفسهم في المناسبات إذا حضر. ولكن ذلك لم يكن سهلاً عليهم. فالإيرانيون في الغالب ينظرون إلى العرب نظرة ازدراء واحتقار ويعتقدون بتخلّفهم الذهني. وهم بعد ذلك علماء، والحسد من خصائص أهل العلم، فكيف يروق لهم أن يأتي رجل من أطراف الأحساء وأبناء الصحراء فيتفوّق عليهم في بلادهم ويحظى بإقبال ملكهم وشعبهم؟ ولكن ذلك قد حصل بالرغم منهم وأجبرهم الوضع على الاعتراف بتفوّقه وتقدّمه.

وضاق القوم ذرعاً بالرجل وفكّروا في الخلاص منه طويلاً حتى اهتدوا إلى ما اهتدى إليه زملاؤهم علماء كربلاء من قبل. ورأوا أنّ الطريق الوحيدة للإطاحة به وتفريق الناس عنه هي إثارة زوبعة حوله، وذلك عمل يحسنونه ويعرفون كيفيّة التمهيد له والوصول إليه. كلّ ذلك يجري في الخفاء والأحسائي مترسّل في سيرته وحديثه لا يعرف ما يبيّت له القوم ولا يخطر له على بال.

تبودلت الآراء وتكرّرت المشورة بين علماء إيران والعراق. وكان أكثر علماء العراق يومئذٍ ـ وإلى اليوم ـ من الإيرانيين، وكانت الصلات مستمرّة بينهم. يقول الدكتور علي الوردي: «فإذا ما حدث في إيران أيّ صراع دينيّ أو سياسيّ فسرعان ما ينتقل أثره إلى العراق عن طريقهم؛ إذ إنّ الجدال الذي ينشب بين رجال الدين في إيران لا بدّ أن يصل إليهم على وجه من الوجوه، فيتجادلون هم بدورهم، وكثيراً ما تنتشر عدوى الجدال إلى العامّة، وربّما أدّى إلى استفحال الخصومة وتبادل الشتائم بينهم..»[1]. وقد أجمعت الكلمة على الوقيعة

(١) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: ١/ ١١.

بالأحسائي ولكن من يوري الشرارة الأولى؟ ومن الذي يملك الجرأة الكافية ليندكّ بشخصيّة تضخّم رصيدها على الصعيدين الحكومي والشعبي كشخصية الأحسائي؟ ومن أين يجب أن تنطلق هذه الشرارة أمِنَ العراق أم من إيران؟ وذلك ما سنتعرّض له في الفصل القادم.

٢ ـ تكفير البرغاني له

خرج الأحسائي من كربلاء متوجّهاً لزيارة الإمام الرضا عليه السلام في ركب ضخم ورياسة عظيمة ودخل وافر، تستقبله مدينة وتودّعه أُخرى باحترام وجلال منقطع النظير حتى وصل إلى قزوين. وكانت الرياسة فيها يومئذٍ للشيخ محمد تقي البرغاني الشهير بالشهيد الثالث[1]. وكان على جانب كبير من الغرور والإعجاب بالنفس كما يبدو. فظنّ ـ بحكم شهرته وانحصار الزعامة فيه ـ أنّ الأحسائي سوف لا يعدو بيته وأنّه سيزيد من قدره واحترامه بنزوله ضيفاً عليه، ولذلك لم يوجّه له

(١) «الشهيد الأول» و «الشهيد المطلق» في مصطلح علماء الإمامية هو: الشيخ شمس الدين أبو عبدالله محمد بن جمال الدين مكي النبطي الجزيني العاملي صاحب «اللمعة الدمشقية» و «المستشهد في عام ٧٨٦هـ ـ ١٣٨٤م. و «الشهيد الثاني» هو: الشيخ زين الدين بن علي الجبعي العاملي شارح «اللمعة الدمشقية» والمستشهد في عام ٩٦٦هـ/ ١٥٥٨م. ويلقب البرغاني بـ «الشهيد الثالث» لأن البابية قد قتلوه عام ١٢٦٣هـ/ ١٨٤٦م ـ وقد كان ذلك قبله لقباً للقاضي السيد نور الله المرعشي صاحب «مجالس المؤمنين» الشهيد بالهند في سنة ١٠١٩هـ/ ١٦١٠م وهو أجدر به لعظمته العلمية ولشهادته على التشيع ـ ويعبّر عن السيد ميرزا مهدي الرضوي المقتول عام ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م بـ «الشهيد الرابع».
والشهيد في اصطلاح فقهاء الشيعة الإمامية هو: المسلم الذي يموت في قتال أمر به النبي أو الإمام عليه السلام أو نائبهما الخاص، أو يقتل في جهاد مأمور به حال الغيبة، وفي تلك الحالة فقط يسقط عنه الغسل ويدفن بثيابه وما عداه يغسّل ويكفّن وإن أطلق عليه اسم الشهيد في بعض الأخبار كالمطعون والمبطون والغريق والمهدوم عليه والنفساء والمقتول دون ماله وأهله. (اللمعة الدمشقية: ١/ ٥٤) ويشترط بعض الفقهاء المتأخرين في الشهيد أن يكون خروج روحه قبل إخراجه من المعركة أو بعد إخراجه مع بقاء الحرب، أما إذا خرجت روحه بعد انقضاء الحرب فلا تطبق عليه أحكام الشهيد (العروة الوثقى/ باب غسل الأموات). وحكى الشيخ فريق المزهر آل فرعون عن العالم الشهير الشيخ محمد الخالصي أن المجتهد المجاهد السيد أبا القاسم الكاشاني أفتى كتابة في ثورة العراق الكبرى مع الانكليز أن الذي يستشهد في ساحة الجهاد يعد شهيداً وأيدها زعيم الثورة الإمام الشيخ محمد تقي الشيرازي بخطه وخاتمه وبذلك جوّزا دفن الشهداء بلا تجهيز كما هي العادة في سائر شهداء المسلمين المجاهدين (الحقائق الناصحة في الثورة العراقية سنة ٢٠/ ٣٨٢).

دعوة.. ! وكان في قزوين رجل علم من تلاميذ الأحسائي اسمه الشيخ عبد الوهّاب القزويني؛ وهو من الفقهاء وأئمّة الجماعة هناك يومئذٍ، ومن عائلة كبيرة إلاّ أنّه دون البرغاني سمعةً وعلماً. ولمّا سمع بتوجّه أستاذه الأحسائي إلى قزوين أرسل جماعة لاستقباله إلى قرب همدان ودعاه للنزول في داره فأجابه. فاعتبر البرغاني ذلك تكريماً من الأحسائي لتلميذه وحطّاً من منزلته هو. وتهافت العلماء والأمراء وسائر الطبقات على دار الشيخ عبد الوهّاب لزيارة الأحسائي، وكان البرغاني في طليعة القوم، وقد عتب على الأحسائي لعدم نزوله في داره، فكان ممّا قاله له: «إنّني أعلم العلماء هنا وكان من اللازم عليك أن تنزل داري بدون حاجة إلى دعوة». فكان جواب الأحسائي: «إنّ دعوة المؤمن محترمة شرعاً وإن لم يكن أعلم، وأنا تابع للشرع لا للأعلمية». فكان الجواب مسكتاً ومؤلماً للبرغاني فحقد على الأحسائي منذ تلك اللحظة[1].

وبدأ البرغاني يعمل للانتقام من الأحسائي والوقيعة به. وأخذ يتحيّن الفرص ويتسقّط كلامه للحصول على مدخل يلج منه، وممسك يتذرّع به. وكان الأحسائي يتكلّم مترسلاً في مجالسه الخاصّة والعامّة ويتحدّث عن استنباطاته وكشفياته. وكان ممّا قاله يوماً: «إنّ الأئمّة الاثني عشر هم العلل الأربع[2] لسائر الخلق، وإنّ معراج النبيّ ﷺ كان بالبدن الهورقليائي[3] وغير ذلك. وحانت الفرصة

(١) شيخيگري بابيگري، ص ٢٣ و (كلمهٔ أزهزار، ص ١٧).

(٢) العلل الأربع هي: ١ ـ العلة المادية ٢ ـ العلة الصورية ٣ ـ العلة الفاعلية ٤ ـ العلة الغائية. ومعلوم أنه لا يوجد شيء في الأرض ولا في السماء ولا بينهما إلاّ بهذه العلل، وتسمّى الأوليان داخليتين والأخريان خارجيتين وينسب للأحسائي القول بأن المعصومين الأربعة عشر علل أربع لجميع المخلوقات كما يأتي الكلام عنه.

(٣) هورقليا، فسرها الأحسائي نفسه بالعالم الذي قبل هذا العالم (جوامع الكلم: ٢/ ٢٨٠) وقال الأسكوئي: إنه لفظ سرياني لا يزال يألفه الصابئة، ويقصد به الواسطة والبرزخ، والمراد من عناصره عناصر عالم المثال الذي هو برزخ وواسطة بين عالم الملكوت وهو النفوس، وبين عالم الملك وهو عالم الأجسام والدنيا (إحقاق الحق، ص ١٣) وتراجع (شيخيگري بابيگري، ص ٤٧) و (كلمهٔ أزهزار، ص ١٠٣) وللدكتور محمد المعيني ـ من أساتذة جامعة طهران الكبار ـ مقال طويل تحت عنوان «هورقليا» نشره في بعض المجلات ثم استلّه ونشره في كراس خاص.

للبرغاني أن يلعب لعبته ويحقّق رغبته فأضاف إلى تلك الآراء بعض الكفريات ونشرها بين العوام. ونسب الأحسائي إلى تضليل العوام بآرائه وغلوّه في الأئمّة وكفره. وقد جلب إلى صفّه بعض علماء قزوين ممّن لم تكن له مع الشيخ عبد الوهّاب علاقة حسنة ليطوّح بالاثنين معاً، وليستعين بإخوانه وإن اختلفت أهدافهم كما فصله الشيخ عباس كيوان القزويني[1].

وتبعاً للسيرة المألوفة فقد كان على الأحسائي أن يردّ الزيارة للّذين زاروه. وكان يصحبه في تلك الزيارات رهط من علماء وأعيان قزوين. فذهب يوماً لزيارة البرغاني في بيته، وبعد أن استقرّ به المقام وتبودلت الأحاديث سأله البرغاني: هل أنّ رأيك في المعاد موافق لرأي المولى صدر الدين الشيرازي؟ فأجابه: إنّه مخالف له. فقال البرغاني لأخيه الشيخ علي: اذهب إلى المكتبة واحضر كتاب «شواهد الربوبية»[2]. فتثاقل الشيخ علي لأنّه كان من تلاميذ الأحسائي، وحاول أن يغيّر مجرى الحديث فقال البرغاني: دعنا من ذلك وقل لنا ما هو رأيك في المعاد. فقال الأحسائي: إنّني أرى أنّ المعاد بالجسم الهورقليائي وهو في هذا الجسد العنصري كالزجاج في الحجر. فقال البرغاني: الجسد الهورقليائي غير الجسد العنصري الذي يعاد يوم القيامة، وذلك من ضروريات الإسلام. فقال الأحسائي: وهذا هو عين مرادي. ثمّ تشعّب الكلام واحتدّ النقاش فانبرى أحد تلامذة الأحسائي ـ وكان من تركستان ـ لمجادلة البرغاني فأسكته وانفضّ المجلس بكدر وخلاف. وفي ذلك اليوم خرج الأحسائي إلى المسجد فلم يخرج معه أحد من العلماء كما كان متّبعاً ولم يحضروا للصلاة معه. وكان الوحيد الذي ذهب معه هو تلميذه الوفيّ الشيخ عبد الوهّاب القزويني.

ونظراً لمقام الأحسائي الكبير عند الجميع وعظمته العلميّة المعترف بها من قبل الكلّ رأى الشاه زاده ركن الدولة علي نقي ميرزا حاكم قزوين أنّ ما قام به

---

(١) شيخيكري بابيكري، ص ٢٣ و٢٤ نقلاً عن عرفان نامه لكيوان.

(٢) شواهد الربوبية في المناهج السلوكية. في أسرار المبدأ والمعاد، طبع عام ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م. (الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١٤/ ٢٤٣).

البرغاني اعتداء لا يمكن السكوت عنه. كما خاف على سمعته ممّا ستحدثه الغوغاء[1] من فوضى في أيّام حكومته. وحاول حفظ نفسه من التعرّض لغضب السلطان فتح علي شاه الذي كان يحبّ الأحسائي ويبالغ في تعظيمه. فماذا سيكون موقفه منه إذا سمع بأنّ الأحسائي قد أهين في قزوين وهو حاكمها؟ وقد اضطرّه كلّ ذلك للتدخّل بين الاثنين أملاً في رفع الخلاف وإنهاء المشكلة. وكان أن دعا علماء قزوين كافّة لتناول العشاء في بيته في إحدى الليالي، ودعا الأحسائي أيضاً، وكان الأحسائي في صدر المجلس حين دخل البرغاني، وكان من المنتظر أن يجلس إلى جانبه لما كان يراه لنفسه من اللياقة للصدارة، غير أنّه جلس بعيداً عنه وترك حائلاً بينهما. ولمّا أحضر الطعام أُفردت للأحسائي والبرغاني مائدة خاصّة بصفتهما أجلّ الحاضرين وأرفع من أن يأكلا مع الآخرين، لولا أن تركها البرغاني وجلس على المائدة الثانية وأكل مع القوم. ولمّا انتهى المدعوّون من الأكل وعادوا إلى أماكنهم تغيّر وضع المجلس واستبدل البعض مكان الآخر، فصار مجلس الأحسائي قريباً من البرغاني بحيث يرى كلّ منهما الآخر. فكشف البرغاني عن دخيلة نفسه وأظهر غرضه وجسّم حقده بين وضع كفّه على جهة وجهة من جانب الأحسائي لئلاّ يراه!! وبدأ الحاكم الحديث فتكلّم طويلاً. وكان ممّا قاله: إنّ الأحسائي شيخ العلماء وكبير الروحانيين من العرب والفرس، وإنّ احترامه واجب على الجميع، وإنّ على البرغاني أن لا يدّخر وسعاً في تكريمه وأن لا يلتفت إلى كلمات المفسدين الذين أوقعوا الجفوة بينهما. فردّ البرغاني بقوله: ليس بين الكفر والإيمان صلح ولا إصلاح. فللأحسائي في مسألة المعاد رأي يخالف الضروري من أحكام الدين، ومنكر الضروري كافر. فبذل الحاكم كلّ جهد ممكن في إخماد الفتنة ومعالجة الموقف إلاّ أنّه فشل وأكّد البرغاني تكفيره للأحسائي وخرج[2].

ويروي الشيخ عبّاس كيوان القزويني قصّة تكفير البرغاني للأحسائي بصورة أُخرى خلاصتها أنّهما اجتمعا على مائدة الشيخ عبد الوهاب القزويني فقال

(١) للدكتور علي الوردي بحث مهم عن الغوغاء (الأحلام بين العلم والعقيدة، ص ٢٧٢ ـ ٢٧٧).
(٢) قصص العلماء، ص ٢٥ ـ ٢٦.

البرغاني للأحسائي: لقد زعمت.. كذا وكذا.. فهل أنت معتقد بذلك؟ فقال: نعم، ويجب أن يعتقده الآخرون. فامتنع البرغاني عن الطعام وقال له: أنت كافر وأتباعك كفّار، وأنا لا أواكل الكفّار. ثمّ خرج فساد المجلس صمت رهيب أعقبه خلاف قويّ. وتعصّب الأحسائي لآرائه وتعصّب خصومه كذلك، وانتشرت أخبار تكفير الأحسائي في بقيّة المدن الإيرانية، وواصل الأحسائي سفره إلى خراسان. وكلّما مرّ بمدينة وجد الانقسام حوله واضحاً. ففريق يتجاهله ويعرض عنه وآخر يبالغ في تعظيمه تعصّباً. وكتب البرغاني إلى علماء كربلاء بأنّه كفّر الأحسائي وطلب متابعتهم في ذلك. فاستجابوا وارتفعت الأصوات معلنة كفره، وصار الناس في حيرة مما حدث، ثمّ سادت الخصومة وتوسّع الخلاف وظهر لدى الشيعة مبدأ جديد، وقبرت خلافات الأخباريين والأصوليين وحلّت محلّها الشيخية وخصومها[1].

٣ ـ تجاوب علماء كربلاء والنجف

وصلت أنباء الوقيعة بالأحسائي إلى كربلاء وكان مكفّروه في إيران قد طلبوا إلى زملائهم في كربلاء إكمال الموضوع كما مرّت الإشارة إليه، فوحّد القوم صفوفهم وجمعوا قواهم للنهوض بالأمر، وذهب فريق منهم إلى السيّد مهدي بن السيّد علي الطباطبائي ـ وكان من أعلام كربلاء ـ فعرضوا عليه بعض العبارات الغامضة والمصطلحات الفلسفية التي استخرجوها من مؤلّفات الأحسائي. وعمدوا كذلك إلى بعض الجمل التي يعكس التحوير معناها فتصرّفوا به من حذف وزيادة وأوّلوه بالنحو الذي يطلبونه. ورغبوا إليه أن يصدر فتوىً بكفره. فتوقّف لما كان يراه من احترام والده للأحسائي واعترافه بالعجز عن فهم بعض كتاباته وأنّها اصطلاحات يقتصر فهمها على الحكماء وليس منهم[2]. إلاّ أنّهم لم يتركوه وشأنه بل ظلوا يلاحقونه ويذاكرونه حتى انقدح في ذهنه بعض الشبهات وحصل له

(١) شيخيگري بابيگري، ص ٢٤.

(٢) دليل المتحيرين، ص ٣٠ و (هداية الطالبين، ص ١٠٩).

شكّ في بعض المقاصد والآراء. فاكتفوا بذلك وأشاعوا تكفير الأحسائي على لسانه. وكان إذا سئل عن ذلك تمتم بالكلمات وتلكّأ ولم يفصح. فيفسّر المغرضون ذلك بالتكفير[1]. ثمّ كتبوا إلى أطراف العراق وإيران: إنّ الطباطبائي قد أفتى بكفر الأحسائي. وظلّ الناقمون يغربلون مؤلّفاته ويتتبّعون كلماته الغامضة وتعابيره المتشابهة ويذيعونها بين الناس[2]، وقد اتّبعوا بعض الأساليب الماكرة فكانوا يستدرجون الناس. وما أن أحسّوا بكرههم لفكرة معيّنة أو نفرتهم من رأي مخصوص حتى نسبوا ذلك إلى الأحسائي، وبذلك أحكموا كرهه في النفوس وأحقدوا الناس عليه[3].

وصادف موسم بعض الزيارات المخصوصة التي اعتاد الناس على أن ينهالوا فيها على كربلاء من كلّ صوب وحدب. فانتهزها الخصوم فرصة مواتية. فكتبوا نشرات حشوها بالأباطيل والأكاذيب ووزّعوها على الجماهير بشكل واسع، وقرأها أكبر عدد ممكن. فكثرت التقوّلات وتكرّرت الاعتداءات وعمّ الخطب وتفاقم الأمر وسادت الفوضى والاضطرابات[4]. ولم يكفهم ذلك بل أعدّوا العدّة لعقد مجلس ضخم عام يحشر فيه أكبر عدد من أهل المدينة والزوّار من مختلف الأطراف، ويدعى إليه من الخارج من يدعى، ثمّ يكتب محضر في تكفير الأحسائي أمام الملأ. وتهيّأوا لذلك على نطاق واسع وعين اليوم والوقت. وتهافت الناس من كل صوب، وأوشك المجلس أن يكتمل على النحو الذي يرغبون فيه. وإذا بالمدينة تفاجأ بزلزلة عظيمة تهتزّ لها الأرجاء وتتضعضع الغبراء وتتساقط المباني ويعمّ الذعر ويسود الهلع ويتفرّق الجمع. فاعتقد أتباع الأحسائي أنّ ذلك نصر من الله لهم وخذلان لخصومهم وانتقام منهم، لا سيّما وقد ذكر المعمّرون بأنّهم لم يروا زلزلة في كربلاء ولم يسمعوا مطلقاً[5]!

---

(١) هداية الطالبين، ص ١١١.

(٢) كلمة أزهزار، ص ١٦.

(٣) دليل المتحيرين، ص ٤١ و (شيخيگري بابيگري، ص ٢٠) و (هداية الطالبين، ص ١١٩).

(٤) كلمة ازهزار، ص ٣١١.

(٥) هداية الطالبين، ص ١١١ و١١٢، و(دليل المتحيرين، ص ٤٠).

ولم يردع ذلك القوم ولم يكفّوا عن عملهم بل عادوا إلى سابق وضعهم بعد أن هدأت الأوضاع بعض الشيء. وعمد بعضهم إلى تأليف كتاب حشاه بالفضائح والكفر والإفك وقول الزور وأقوال الملاحدة والزنادقة ونسبه إلى الأحسائي. وكان له مجلس عصر كل يوم يقرأ فيه تلك الفضائح على ملأ من الناس فتتعالى الأصوات من أرجاء المكان بلعن الأحسائي والبراءة منه ومن معتقداته، وبوجوب مقاومته والقضاء عليه[1].

وقد كفّره غير السيد مهدي والبرغاني المذكور كل من الشيخ محمد جعفر شريعة مدار، والمولى أغا الدربندي صاحب «أسرار الشهادة» وشريف العلماء المازندراني، والسيد إبراهيم القزويني صاحب «ضوابط الأصول» والشيخ محمد حسن النجفي صاحب «جواهر الكلام» والشيخ محمد حسين الأصفهاني صاحب «الفصول» وغيرهم من فقهاء عصره وعلمائه[2].

ويروي الشيخ محمد حسن شريعة مدار الاسترابادي لتكفير والده للأحسائي قصةً خلاصتها: إنَّ المرجع يومئذ هو السيد محمدٍ الطباطبائي الملقب بالمجاهد ولما أفتى بكفر الأحسائي وافقه وأيّده علماء كربلاء والنجف عامة. غير أن الشيخ محمد جعفر شريعة مدار كان في مكّة يؤدي فريضة الحج. فقال الأحسائي: إنَّ علماء هذه الديار فقهاء وأصوليون وليست، لهم خبرة في الحكمة والعلوم العقلية وكلماتي ومؤلفاتي لا يفهمها إلاّ الحكماء. ورضي أن يحكم فيها الشيخ محمد جعفر شريعة مدار. واتّفق أن عاد شريعة مدار من مكة فبعث له السيد محمد المجاهد «شرح الزيارة» وعدة رسائل من مؤلفات الأحسائي بيد رسول وطلب منه قراءتها وبيان رأيه فيها. فقرأها بدقّة وتأمّل عباراتها وقال: «إن هذه الكتب والرسائل متشابهة وقابلة للتأويل وتجب إطاعة أمر السيد بحكم مقبولة ابن

(١) لم نتمكن من معرفة هذا الرجل، وقد قال عنه السيد كاظم الرشتي: «لا برّد الله مضجعه ولا رزقه جنّته» (دليل المتحيرين، ص ٤٠) وقال الحاج محمد كريم خان الكرماني: «لا رحمه الله» (هداية الطالبين، ص ١١٢).

(٢) قصص العلماء، ص ٢٦.

حنظلة»[1] ولكن من أجل التثبّت في الحكم والحكومة لا مندوحة من مذاكرة الأحسائي نفسه فيها لنرى هل أنه يستحق التكفير أم لا؟ واتّفق أن التقى الأحسائي به في الحمّام. فشكره على عدم تسرّعه في تكفيره كما فعل الآخرون، ودخلا في نقاش فتجمهر الناس عليهما في الحمام لسماع الحوار. فسرد الأحسائي آراءه ومعتقداته كما سطره في مؤلفاته. وفهم منها شريعة مدار ما فهمه السيد المجاهد وسائر علماء كربلاء والنجف وحكم مثلهم بتكفيره. فوقعت في كربلاء وبلاد إيران كارثة لانتشار الخبر[2].

٤ ـ إنكار الأحسائي لما نسب إليه

عاد الأحسائي إلى كربلاء بعد الفراغ من زيارة الإمام الرضا عليه السلام وكان عازماً على قضاء ما تبقّى من أيامه فيها، ولم يكن ليتصوّر ما بلغته الحالة من هياج وتفاقم وما بلغه خصومه من ضراوة وشراسة. فرأى الجوّ مكفهراً والوضع متوتّراً ينذر بالانفجار، والناس حوله في خلافٍ، وتلميذه السيد كاظم الرشتي في حالة يرثى لها من المقاطعة والمقاومة لموقفه الإيجابي منه ومن آرائه، ولدفاعه عنهما بكل ما أوتي من حول وطول. فكثر استغرابه واحتار في أمره. وما لبث أنصاره أن تجمهروا عليه وألزموه بالتدريس. فشرع في مجلس حافل. وكان يدرّس في أصول الفقه وأصول الدين، والحديث والتفسير، والفقه وغيرها. ومعظم تدريسه

---

(١) حديث رواه عمر بن حنظلة العجلي الكوفي عن الإمام الصادق عليه السلام ولم يكن سنده موثقاً. لكن العلماء تلقوه بالقبول وسمّي بـ «مقبولة ابن حنظلة». والحديث قول الإمام: «انظروا إلى من كان منكم قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فليرضوا به حكماً فإنني قد جعلته عليكم حاكماً فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه فإنما بحكم الله استخفّ وعلينا ردّ والرادّ علينا كالرادّ على الله وهو على الشرك بالله عزّ وجلّ».
وقد رواه المشايخ الثلاثة ١ ـ الكليني (الكافي: ١/ ٦٧ باب اختلاف الحديث) ٢ ـ الصدوق (من لا يحضره الفقيه: ٣/ ٥ ـ ٦ باب الاتفاق على عدلين في الحكومة) ٣ ـ الطوسي: (تهذيب الأحكام: ٦/ ٢١٨). ورواه أيضاً الطبرسي: (الاحتجاج: ٢/ ١٠٦ ط النجف) والمجلسي: بحار الأنوار: ٢٤/ ٥ ط إيران القديم عام ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م، والشيخ الحرّ العاملي: (وسائل الشيعة/ الحديث الأول من الباب الحادي عشر من أبواب صفات القاضي) وغيرهم.

(٢) مظاهر الآثار: ١/ ١٠٦٤ ـ ١٠٦٥.

في «أصول الكافي» و «الاستبصار» وغيرهما. واستمرَّ على سابق عهده يحاول الجمع بين قواعد الشرع والحكمة، وكان ـ في رأيه ـ يطبّق المعقول على المنقول مع أنَّ الكثير من قواعد المعقول لا يلتقي مع ظواهر الشرع والدين. وكان تلامذته يتداولون آراءه في ما بينهم وتتسرّب إلى الحوزات الأخرى، فيحتدم حولها النقاش ويعلو الجدل، وتزيد الطين بلة بالنسبة لما سبق، وتنسب للأحسائي آراء وأقوال غيرها مما لا تستسيغه العامة ولا تألفه الخاصة... وقد كثرت النسب إليه والتقوّلات عليه. وكان خصومه قساةً للغاية ومن حقهم أن يكونوا كذلك، بل يجب أن يكونوا كذلك لأنهم لم يقصدوا بالخصومة إحقاق الحق وإبطال الباطل لتتصف بالمرونة والعدالة والأنصاف ولتراعى فيها أصول المرافعات وآدابها، بل كان الهدف هتكه وتشويه سمعته وتحطيم شخصيته. وهو وإن كان قد فهم ذلك أخيراً وصرَّح أن الدافع الأول والأخير هو الحسد، لكنّه كان غافلاً عنه في بادئ الأمر لأنه ظلّ يناقش ويدافع ويحاجج.

وأخذ الأحسائي يردّ على مؤاخذات خصومه بأسلوب علمي وحجج منطقية ويفسّر أقواله المشتبه بها. ونفى عنه التهم والنسب غير الصحيحة. وتبرّأ علناً من كلِّ ما يخالف عقائد الشيعة الإماميَّة وأنه لم يقل ذلك في مجلس أو يسجّله في كتاب. ودعا القوم مراراً للاجتماع والمداولة ولكنَّه لم يُعَر أذناً صاغية ولم يلتفت إلى طلبه. وصرّح غير مرّة بأن للكلام ظاهراً وباطناً وأن بعض العبارات قابل للتأويل لا يمكن الأخذ بظاهره ممّن لم يعرف المصطلحات الخاصة. واستشهد بقصة الأعرابي الذي حضر مجلس الخليفة عمر بن الخطاب فقال: «إني أكره الحق، وأحبُّ الفتنة، وأشهد بما لم أره، وعندي ما ليس عند الله، وأعلم ما لا يعلمه الله، وأصدّق اليهود والنصارى وآكل الميتة، ولا أركع ولا أسجد، وأنا أحمد النبي، وأنا علي، وأنا ربّكم» فأنكر عليه عمر وقال: ازددت كفراً على كفرك. وأمر بضرب عنقه، وكان الإمام علي عليه السلام حاضراً، فقال: «مه يا عمر فإن هذا رجل من أولياء الله، ما تكلّم إلاّ بالحقّ. أما قوله إنّي أكره الحق يعني الموت وكل أحد يكره الموت، وأما قوله أحبّ الفتنة فإن الله سبحانه يقول: ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ وكل أحد يحب المال والولد. وأما قوله أشهد بما

لم أره فإنه يشهد بالله ولم يره بالبصر، وأما قوله عندي ما ليس عند الله فعنده ظلم لنفسه وليس عند الله ظلم. وأما قوله أعلم ما لا يعلمه الله فإنه يتصوّر أن له ولداً وشريكاً ولا يعلم الله له ولداً أو شريكاً. قال الله تعالى ﴿أم تنبئونه بما لا يعلم أم بظاهرٍ من القول﴾. وأما قوله أصدّق اليهود والنصارى؛ ففي تكذيب بعضهما البعض، وهو قوله تعالى: ﴿قالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيءٍ﴾. وأما قوله آكل لحم الميتة، فالجراد والسمك. وأما قوله ولا أركع ولا أسجد، ففي صلاة الجنازة. وأما قوله أنا أحمد النبي، يعني أحمده على تبليغ الرسالة وأثني عليه. وأما قوله أنا علي يعني علي في قولي هذا واعتقادي ولست بمتسافل. وأما قوله أنا ربّكم بمعنى لي كمّ وصاحب كم وهي الرَدن من اللباس، فقام عمر وقبّل رأس أمير المؤمنين، وقال: لا بقيت بعدك يا أبا الحسن[1].

ثم استعرض الأحسائي بعض كبار أعلام الشيعة الذين توجد في كلماتهم عباراتٍ متشابهة ظاهرها الكفر، كالسيد المرتضى الذي قال: إنّ الله ليس إلّهاً للأعراض ولا للجوهر الفرد. والصَّدوق الذي تقرّب إلى الله بوضع رسالة في إثبات سهو النبي والأئمة. والأردبيلي الذي جوّز التركيب العقلي في الله. والخوانساريين اللّذين جوّزا انتزاع المدد غير المتناهية من ذات الله. والمجلسي الذي ذكر قسماً من المقدورات يقدر عليه الخلق ولا يقدر عليه الله. إلى غيرهم وتساءل: لماذا لم يحكم أحد بكفر أولئك وفسقهم وحكم بكفره؟ ولماذا لم تُحمل تلك الكلمات على ظواهرها وحملت كلماته؟ ولماذا لم يجتهد أحد في كلماتهم في مقابل النصّ، واقتصر على الاجتهاد في كلماته؟ إلى غير ذلك من

(١) دليل المتحيرين، ص ٤١ ـ ٤٧. يشك في أن تكون هذه النادرة قد حصلت فعلاً والمظنون أنها من صنع المتأخرين؟ وأقدم من رواها الحافظ الكنجي المتوفى عام ٦٥٨هـ/ ١١٦٢م فقد نسبها لحذيفة بن اليمان مع تفاوتيسير (كفاية الطالب، ص ٩٦) وقد قال بعدها: «هذا ثابت عند أهل النقل ذكره غير واحد من أصحاب السير». ورواها أيضاً ابن الصبّاغ المالكي المتوفى عام ٨٥٥هـ/ ١٥٤١م (الفصول المهمة، ص ١٨) ورواها من المتأخرين مع تفاوت يسير الشبلنجي (نور الأبصار، ص ٧٩). ولعلها من مختلقات الأحاديث التي يراد بها تبرير القول بالظاهر والباطن ولعلها من موضوعات الإسماعيليين.

ضروب الردّ وصنوف الدفاع. إلاّ أن ذلك كله لم يقع موقع القبول لدى أحدٍ من القوم وإنّما أصرّوا على تفسير كلماته وعباراته وفق مشتهياتهم وحسب آرائهم، وبقوا على ما كانوا عليه من مخالفة. واستمرّوا على تأليب الناس عليه بمختلف السبل. وكان إذا هبط كربلاء غريب من العلماء أو الأعيان سارعوا إلى زيارته وحذّروه من الاتصال بالأحسائي أو ملاقاته، وحشوا ذهنه بما لفّقوه من الاتهامات والكفريات[1].

وتوجد صورة رسالة كتبها الأحسائي إلى تلميذه، الشيخ عبد الوهّاب القزويني، وفيها عرض وافٍ ووصف دقيق لما جرى معه في كربلاء، ولِمَا وصل إليه القوم من إسفاف وإجحاف وظلم واعتداء كصرف الأموال لشراء الذمم واستئجار الأعوان على التنكيل به، وبثّ الإشاعات ضدّه. وبما أنّها بقلم الأحسائي نفسه ـ وهو رجل صدوق لا يتطرّق الشك إليه بوجهٍ من الوجوه، ولا يحتمل في حقه الكذب أو الزيادة والنقصان[2] ـ آثرنا إثباتها ليقف القارئ على مدى ما وصل إليه القوم من انحدار في الخلق وظلم للوجدان ومخالفة للشرع، وإلى القارىء نصّها:

«بسم الله الرحمن الرحيم: إلى جناب عالي الجناب، ولب الألباب، الداخل في الخيرات من كل باب، أهدي جميل التحية والسلام، أصلح الله أحواله وبلغه آماله في مبدئه ومآله بحرمة محمد وآله، آمين رب العالمين.

أما بعد، فإن سألتم عن محبّكم وداعيكم فأنا أحمد الله إليكم، أما أنا من جهة نفسي ظاهري وباطني ففي راحة، وأمّا الناس من جهتي فقد اختلفوا، فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اختلفوا[3] ولكن الله يفعل ما يريد»[4].

جاء الورع الزاهد الشيخ متّقي..؟ وأراد أن يطعن على جنابك، فلم يجد غير أنه نظر في بعض كتبي في قولي «إنّ للإنسان جسدين الأول يعاد يوم القيامة

(١) هداية الطالبين، ص ١٢٢.
(٢) شيخيگري بابيگري، ص ٥١.
(٣) في الآية الكريمة: «اقتتلوا».
(٤) البقرة: ٢٥٢.

وهو الجسد الأصلي، والثاني أعني العارضي الذي ليس للإنسان، وإنما هو عرض لحق المكلّف من الأكل والشرب وليس من حقيقة، وإنما هو في نفس الأمر جسد تعلمي أو بمحكمه، وإن قلت: إنّه من العناصر فإن كل ما تحت فلك القمر من العناصر الجواهر والأعراض». ونفح الشيطان في قلبه، فقال: إنه كفر وهذا كافر والمولى عبد الوهاب صلّى خلف الكافر، وأعانه عليه قوم آخرون ﴿فقد جاءوا ظلماً وزوراً﴾ [الفرقان/ ٤] ﴿والذي تولّى كبره منهم له عذابٌ عظيم﴾ [النور/ ١١] خوفاً على دراهم العجم والهند حتى قالوا إنّك تقول إن الذي خلق السّماوات والأرض علي بن أبي طالب عليه السلام وحكموا بنجاسة الأرض التي أطؤها، وبنجاسة حضرة الحسين عليه السلام لأني أدخل عليه للزيارة، والأمر أعظم مما تسمع، وبذلوا الأموال على ذلك القريب والبعيد تشييداً لتكفيري ﴿ولا تحسبنّ الله غافلاً عما يعمل الظالمون﴾ [ابراهيم/ ٤١].

وقلت: هذا كلام للخواجه نصير الدين[1] في «التجريد»[2] والعلاَّمة[3] في

---

(١) أبو جعفر نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن الطوسي من أكبر علماء الرياضيات والفلسفة عند المسلمين، له ولمؤلفاته العديدة أهمية بالغة في معاهد الشرق والغرب، وزر لهولاكو فعلت منزلته عنده فكان يطيعه فيما يشير به عليه، بنى رصد مراغه، وخدم الثقافة والعلماء، ولد في طوس عام ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م وتوفي ببغداد عام ٦٧٢هـ/ ١٢٧٤م ودفن في رواق الإمامين الكاظمين. له تراجم في (أعيان الشيعة: ٤٦/ ٤ ـ ١٩) و (الفوائد الرضوية، ص ٦٠٢ ـ ٦١٥) و (التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان: ١/ ٨٨ ـ ٩٠) و (الاعلام: ٧/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨) و (معجم المؤلفين: ١١/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨) وعشرات المعاجم. وأقامت جامعة طهران عام ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م بمناسبة مسرور سبعمائة عام على وفاته مهرجاناً ضخماً استمرّ أسبوعاً كاملاً، وأخرجت ما قيل فيه في كتاب ونشرت بعض مؤلفاته والدراسات عنه.

(٢) تجريد الكلام في تحرير عقائد الإسلام، من أشهر مؤلفات نصير الدين، وهو أجل كتاب في عقائد الشيعة، شرحه كبار علماء الشيعة والسنة (الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٣/ ٣٥٢ ـ ٣٥٣).

(٣) جمال الدين الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي الشهير بالعلامة من شيوخ الشيعة وكبار علماء الطائفة وأحد الجهابذة الأساطين في تاريخها العلمي معقولاً ومنقولاً، مؤلفاته بالمئات وهي مرجع الطائفة ولد في الحلة عام ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م وتوفي بها ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م وقبره في رواق الإمام علي في النجف راجع (الدرر الكامنة: ٢/ ٧١) و (روضات الجنات: ٢/ ٣١٧) و (منهج المقال، ص ١٠٩) و (لسان الميزان: ٢/ ٣١٧) و (أعيان الشيعة: ٢٤/ ٢٧٧ ـ ٣٣٤) والاعلام: ٢/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥) و (معجم المؤلفين: ٣/ ٣٠٣) وكثير غيرها. =

«شرح التجريد»[1] ولا تجب إعادة فواضل الإنسان، وبيّنه العلامة في الشرح أنه لا يحشر إلاّ الطينة الأصلية، وقال المجلسي[2] كلاماً طويلاً من جملته: «دويم انكه دربدن أصلية هست كه باقي است ازاول عمر تاآخر عمر، وأجزاء فضيلة ميباشد، زيادة وكم ومتغيّرو متبدّل ميشود، وإنسان كه مشار إليه است بأنا ومن آن أجزاى أصلية است كه مدار حشر ونشر وثواب وعقاب برآن است»[3].

وفي هذا الكتاب مثل هذا الكلام كثير، والصادق عليه السلام ـ كما في «الكافي» ـ سئل عن الميت: هل يبلى جسده؟ قال: نعم حتى لا يبقى لحم ولا عظم إلاّ الطينة التي خلق منها؛ فإنها لا تبلى تبقى في قبره مستديرة حتى يخلق منها كما خلق أوّل مرّة، وكلُّ العلماء على هذا، فقد جعلوا هذا الجسد الثاني الذي لا يعود ـ كما هو رأيي ـ هو الجسد التعليمي أعني العارض أو العرض، حتى أنّي صرّحت في بعض كتبي بأن الجسد الذي يعاد لو وزن لما زاد على هذا الذي في الدنيا المرئي مقدار ذرّة. فإنّ الله يقول: ﴿**وإن كان مثقال ذرّة من خردلٍ أتينا بها وكفى بنا حاسبين**﴾ [الأنبياء/٤٦]. فقوله ﴿**أتينا بها**﴾ أي بعينها ذلك، ولكن متى كنت كافراً جاهلاً بالميعاد وأنا أدّعي أنه ما أحد ـ كذا ـ عرف مثلي، وقد وقف علماء العرب والعجم كلُّهم عليها، فما طعن فيها إلاّ جاهل بمعنى قولي، أو

---

(١) هو أول شروح التجريد اسمه (كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد) تراجع (الذريعة: ١٣/ ١٣٩ و١٨/ ٦٠).

(٢) الشيخ محمد باقر بن محمد تقي الأصفهاني المجلسي عالم موسوعي من الأجلاء، يعد من أعظم علماء الشيعة في القرون الأخيرة، ولي مشيخة الإسلام في أصفهان على عهد الصفويين، وله آثار قيمة أشهرها وأكبرها «بحار الأنوار» ويعتبر من دوائر المعارف الشيعية اقرأ وصفه في (الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٣/ ١٦ ـ ٢٧). ولد عام ١٠٣٧هـ/١٦٢٧م وتوفي عام ١١١٠هـ/١٦٩٩م. راجع (أعيان الشيعة: ٤٤/ ٩٦ ـ ١٠١) و (الفوائد الرضوية / ٤١٠ ـ ٤١٨) و (روضات الجنات: ١/ ١١٨ ـ ١٢٤) و (الاعلام: ٦/ ٢٧٣) و (معجم المؤلفين: ٩/ ٩١) و (الكنى والألقاب: ٣/ ١٢٨ ـ ١٣٢) وكثير غيرها.

(٣) تعريبه: الثاني في البدن الأصلي الذي يبقى من أول العمر إلى آخره وهناك أجزاء فضلية تتصف بالزيادة والنقصان والتغيير والتبديل، والإنسان المقصود بقول «أنا» هو الأجزاء الأصلية التي تكون مدار الحشر والنشر والثواب والعقاب عليها.

معـانـد منكر للحق، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: إذا قال أحدكم لأخيه يا كافر كفـر أحـدهمـا». لكـن يـا شيخ حسبي الله وكفى به شهيداً، إنَّ الله يقول في كتابه الحق ﴿ما يلفظ من قول إلاّ لديه رقيب عتيد﴾ [ق/١٧].

والحاصل أنا أقول حسبي الله وكفى، ليس وراء الله منتهى، والسَّلام عليك ورحمة الله وبركاته، وسلام على من يعزّ عليك، وخصّ نفسك بالسلام»[١].

ظـلّ الأحسـائـي يعمل من جانبه على رتق الفتق وإخماد الفتنة، ويدعو إلى جمـع الكلمـة وعـدم شقّ عصا المسلمين وتفريق صفوفهم، ويحذّر من الاختلاف لأنـه يضعـف الشيعـة ويشمت بهم أعداءهم[٢]. وظلَّ خصومه من جانبهم يغذّون التفـرقـة وينمّون دواعي الاختلاف. وكان أن قاموا بعملٍ أبشع من كلِّ ما عملوا، وتصـرّف أقبـح مـن سائـر ما ارتكبوا. وذلك أنهم عمدوا إلى كتابه «شرح الزيارة الجـامعـة الكبيـرة» فحملـوا منه نسخةً إلى داود باشا[٣] والي بغداد وأطلعوه على مـواضـع منـه فيهـا تعـريض وطعن في الخلفاء، منها قصَّة الشاعر ديك الجن مع الخليفـة العبَّاسـي[٤]. وعـززوا ذلـك بعريضة ضمّنوها بعض الاتهامات الباطلة التي كـانـوا يـروّجـونهـا، كقولهم: إن الأحسائي يقول إنَّ الإمام علياً هو الخالق والـرازق والمحيـي والمميـت. ونحـو ذلـك من الإفك والبهتان. وكان الوالي قد قتل قبل ذلك بقليل الشيخ يـاسين.. خـال الشيـخ موسى ابن الشيخ جعفر كاشف

---

(١) انظر (كيوان نامة: ١/ ١٣٧ ـ ١٤٨) و (شيخيگري بابيگري، ص ٢٨) و (تاريخ فلاسفة إسلام، ص ٧٥ و٧٦).

(٢) هداية الطالبين، ص ١١٩، و (شيخيگري بابيگري، ص ٢١) و (دليل المتحيرين، ص ٥١).

(٣) من المماليك حكم بغداد خمس عشرة سنة ١٨١٧هـ/ ١٨٣٢م ولعبد العزيز سليمان نوار (داود باشا والي بغداد /١٩٦٨/ القاهرة) وللدكتور يوسف عز الدين (داود باشا ونهاية المماليك في العراق /١٩٦٠) وتراجع أحمد علي الصوفي (المماليك في العراق /١٩٥٢/ الموصل) وسليمان فائق، ترجمة محمد نجيب أرمناوي (تاريخ المماليك في العراق /١٩٦١/ بغداد) وعباس العزاوي (تاريخ العراق بين احتلالين ٦ و٧) والدكتور علي الوردي (لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: ١/ ٢٣٠ ـ ٢٥٨).

(٤) انظر (روضات الجنات: ١/ ٢٢٧) و (دليل المتحيرين، ص ٤٨ ـ ٥٠) و (لغت نامة دهخدا/ حرف الألف/ ١٣٩٩) و (هداية الطالبين، ص ١٢٢ ـ ١٢٩) و (شيخيگري بابيگري، ص ٢١) وغيرها.

الغطاء النجفي بتهمة نسبت إليه بلا بينة ولا شهود مع أن الشيخ موسى كان عنده في غاية الاحترام[1].

ولما بلغ الأحسائي خبر ذلك رأى بقاءه في كربلاء غير صالح. فباع داره وأثاثه وحلى نسائه، وفرَّ بأهله وأبنائه وزوجاته إلى الله قاصداً بيته الحرام وقبر نبيه مع ما كان عليه من كبر السنّ وضعف القوى ورغم مشقة الطريق وطوله فالخوف كان يدفعه. وقد مرض قبل الوصول إلى المدينة وتوفي وحمل إليها كما مرَّ[2].

ويقول الحاج محمد كريم خان الكرماني ما ترجمته: إنَّ الوالي داود باشا قد حقد على أثر الوشاية وبعدها بشهور حاصر كربلاء وطوّقها بجيش كبير حتى أصابها القحط، وأنّه رماها باثني عشر ألف إطلاقة مدفع، حتى هدم جانب من صحن الحسين عليه السلام واخترق بعض الإطلاقات جدران القبة وسقط على الناس في داخل الحرم. وهدم الكثير من الدور وقتل العديد من الناس، ونهبت الأموال وهتكت الحرمات[3]. ولم نجد لتلك الحادثة ذكراً في تاريخ تلك الفترة من العهد العثماني بالرغم من أنَّ عباس العزاوي قد أشار حتَّى إلى صغار الأحداث والاختلافات[4]. وقد اتهم السيد ضياء الدين الروحاني الأحسائي بأنه أراد إبقاء الفتنة بين الشيعة والسنة وإثارة الخلاف بينهما، فكتب قصة ديك الجن في كتابه، وهرب وصار ذلك سبباً لغارة كربلاء وقتل أهلها[5]، ورد عليه معتمد الإسلام التبريزي بأن والي بغداد لم يصدر أمراً بغارة كربلاء على أثر قراءة الكتاب لا سيما وأن الأحسائي قد هرب إلى الحجاز، وكانت الغارة بعد ذلك بسنين[6].

وقد خلط المترجمون عند نقل قصة ديك الجن خلطاً عجيباً، فقد قال السيد كاظم الرشتي: «وقد كان رحمه الله ذكر في الجزء الرابع حكاية حسن بن هاني

---

(١) انظر (دليل المتحيرين، ص ٥١).
(٢) انظر (أعيان الشيعة: ٨/ ٣٩٠).
(٣) انظر (هداية الطالبين، ص ١٣٠).
(٤) انظر تاريخ العراق بين احتلالين: ٦/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩ و٧/ ٦٥ ـ ٦٩ و٧٢ ـ ٧٦).
(٥) انظر (مزدوران استعمار درلباس مذهب، ص ٥٠ ـ ٥٢).
(٦) انظر (كلمة أزهزار، ص ٤٠ ـ ٤٣).

حيص بيص ديك الجن مع المتوكِّل»[1] وقال السيد محمد باقر الخوانساري: «حكاية حسن بن حيص بيص ديك الجن مع المتوكل»[2] وقال الحاج محمد كريم خان الكرماني ما ترجمته: «حكاية الحسن بن هاني الذي كان ينقل حديث ديك الجن مع المتوكل»[3]. فنقل كل واحد من هؤلاء الثلاثة يختلف عن الآخر، والغريب أن الكل ينقلون عن «شرح الزيارة» ويقولون إنَّ الأحسائي نقل عن «معالم الزلفى» للبحراني، في حين أن الأحسائي نقل مضمون الحكاية ولم يذكر المصدر ولا اسم المحكيِّ عنه، ولا اسم المتوكل[4]. وأما السيد هاشم البحراني؛ فقد نقل في الباب الـ «٩٩» عن كتاب «فضائل أمير المؤمنين» للشريف الرضي، وكان الشريف نقله عن «المثالب والمناقب» للشيخ المفيد: أنه كان على عهد الرشيد بن المهدي رجل يقال له إسحاق بن إبراهيم الملقب بديك الجن. [5] الخ وقد سمَّاه المامقاني بإسحاق بن إبراهيم أيضاً [6].

أما الحسن بن هاني فهو أبو نؤاس الشاعر المعروف المعاصر للرشيد، والمتوفى عام ١٩٨ ـ ٨١٣[7] وأما حيص بيص فهو أبو الفوارس، شهاب الدين سعد بن محمد ابن سعد بن صيفي التميمي المعاصر للمقتفي لأمر الله ٥٣٠ـ٥٥٥ـ١١٣٥ـ١١٦٠[8]. وأمَّا ديك الجن، فهو أبو محمد عبد السلام بن رغبان الحمصي المتوفى سنة ٢٣٥ أو ٢٣٦ ـ ٨٤٩ أو ٨٥٠[9]. أما محمد خان القزويني المحقق المعروف؛ فهو ينكر أصل الحكاية ويعتقد أنها مكذوبة وملفّقة من قصص الجاهلية للتشهير بالخلفاء ومعاوية[10].

---

(١) انظر (دليل المتحيرين، ص ٤٨).
(٢) انظر (روضات الجنات: ١/ ٢٢٧).
(٣) هداية الطالبين، ص ١٢٣.
(٤) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة: ٢/ ٢١٧.
(٥) معالم الزلفى في عالم النشأة الأولى والأخرى، ص ٣٢٦ و٣٢٧.
(٦) تنقيح المقال في علم الرجال: ٣/ ١٢٠.
(٧) معجم الشعراء اللمرزباني، ص ٩٤ وغيره.
(٨) وفيات الأعيان لابن خلكان: ٢/ ١٠٦ وغيره.
(٩) الأغاني، للأصبهاني: ١٤/ ٥١ وغيره.
(١٠) تاريخ فلاسفة إسلام، ص ٧١. و (شيخيكري بابيكري، ص ٢١) و (شيخ أحمد أحسائي، ص ١٨)=

وأما الأبيات التي ذكرت القصة أنَّ الخليفة العباسي سأل الشاعر عن المراد بها فهي أول قصيدة لديك الجن[1]. وأما الخليفة فالظاهر أنه المتوكل على الله العباسي ـ لا الرشيد ـ. لأنَّ ديك الجن مات في أيامه[2] وربما كان هذا القدر من القصة صحيحاً كأن يسأله المتوكل عن معنى بيت من قصيدته. وأما باقي القصة فإننا نؤيّد ما ذهب إليه القزويني من أنها ملفّقة. فليس من الممكن أن يطعن ديك الجن أبا بكر وعمر ومعاوية ويزيد، ويخرجهم من ربقة الإسلام على النحو الذي ورد في القصة، ثم يسلم من المتوكل فضلاً عن أن يحظى بجائزته. لا سيما وأن ديك الجن معروف بتشيعه، وقصائده في مدح أهل البيت ورثائهم ورثاء الحسين بن علي كثيرة سائرة. وقد قال الأصفهاني عن قصيدة له يمدح بها الإمام علياً عليه السلام ما لفظه: «وهي مشهورة عند الخاص والعام ويناح بها»[3].

٥ ـ تراجعه تحت الضغط العام

كان الأحسائي يرى أن أحكام الشريعة الإسلامية بحاجة إلى الإصلاح والإيضاح، وأن بعض الحقائق والمعتقدات سواء عند الشيعة الإمامية أو غيرهم تفتقر إلى التصحيح والتهذيب، فأخذ ذلك على عاتقه، وحاول أن يوفّق بين أصول الدين وأصول الفلسفة، فكان أن فاجأ مجتمعه بمفاهيم جديدة لم يستسغها وآراء حديثة لم يكن من السهل عليه تقبّلها. ولسنا الآن بصدد تأييد أو تفنيد تلك الأقوال ومدى صحتها وموافقتها للواقع، ولكنها على كل حال كانت جديدة على الناس ومستغربة لديهم. وكان عليه كأيِّ مصلح مخلص يطلع على الناس بمفاهيم لا عهد لهم بها؛ أن يبذل جهداً في شرحها وتوضيحها وإقناع الناس بمدى نفعها وما تدخله على تفكيرهم من صقل وتهذيبٍ، وأن يتّسع صدره لمختلف أنواع الردّ

= و(لغت نامة دهخدا/ حرب الألف/ ١٣٩٩).

(١) ديوان ديك الجن، ص ٤٩. طبعة دار الثقافة ـ بيروت ـ تحقيق أحمد مطلوب وعبدالله الجبوري.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية: ٩/ ٣٦٧ و (تاريخ الأدب العربي، لبروكلمان: ٢/ ٧٧) و (حياة الحيوان الكبرى: ١/ ٣٤٩) و(الأعلام: ٤/ ١٢٨) و (معجم المؤلفين: ٤/ ٢٢٤) و (وفيات الأعيان: ٢/ ٣٥٦).

(٣) الأغاني: ١٤/ ٥٢.

والنقد، بل الاستنكار والطعن والسخرية والاستهزاء ريثما يثبت الزمن صحتها من سقمها، وصلاحها من فسادها، ما زال قصده خيراً وهدفه نبيلاً.

ويبدو لنا أنَّ الأحسائي كان يتسلّح بذلك الاستعداد ويملك تلك القابلية، لولا أنه مُني بخصوم وابتلي بمعارضة وقوبل بمقاومة لم تكن سليمة ولا مخلصة، على أننا لا ندَّعي بأن كل ما أخذ عليه ونوقش به كان اتهاماً صرفاً وادعاءاً كاذباً. ففي آرائه ما يقبل المناقشة ويستدعيها وفي كلماته ما هو متشابه يذهب به التأويل مذاهب شتّى. إلاّ أن الأغراض الشخصية والتطرّف والتحزّب والمصالح الخاصة وأشياء أخرى، كلُّ ذلك قد طغى على القضايا الفكرية والآراء العلمية، وأصبح طابع الحقد والغرض طاغياً على كل ما قيل وكتب حتى تكهرب الجوّ ضدّه، وصبّت النقمة عليه صبّاً لدرجة أنه لم يبق لصوته سامع، ولم يفسح له مجال الدفاع عن نفسه والردّ والمناقشة، بل ضاع في خضمّ الدعايات والاتهامات، وأغرقته موجة الفتاوى بالتفكير حتى خشي على نفسه.

ويبدو لنا أيضاً أنه قد تراجع عن بعض آرائه، وأنكر قسماً منها، تحت تأثير الضغط الهائل أملاً في تدارك الوضع ومعالجة الموقف شأنه في ذلك شأن كثير من علماء الشرق والغرب عبر القرون الطويلة. فقد اضطرَّت موجات الاستنكار الكثير منهم إلى التنصّل من أفكارهم والإنكار لآرائهم ومعتقداتهم حفظاً للنفس وطلباً للسلامة. فعندما قوطع الأحسائي في قزوين فجأةً على أثر استنكار البرغاني لرأيه وحكمه بكفره حول مسألة المعاد بالجسم الهورقليائي، وذهب إلى الصلاة للمسجد وليس بمعيّته غير تلميذه الشيخ عبد الوهّاب القزويني ولم يحضر صلاته أحد من علماء قزوين بعد أن كانوا يحيطونه في كل ليلة ويتهافتون للصلاة خلفه، عزّت على تلميذه تلك الردّة والمقاطعة، فطلب من أستاذه الأحسائي أن يؤلّف رسالة يثبت فيها المعاد الجسماني. ففعل نزولاً عند رغبة التلميذ[1] غير أن ذلك لم يفده شيئاً سوى ما وقع فيه من التناقض.

---

(١) قصص العلماء، ص ٢٥، وشيخيگري بابيگري، ص ١٨.